رحلة مع الخطاب الديني



المجتمع

رحلة مع

الخطاب الديني

كل الحقوق محفوظة



الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة - الرمز البريد (١٣٠٤٩)
الموقع الإلكتروني: www.mugtama.com
البريد الإلكتروني: info@mugtama.com
تليفون: ٢٢٥١٤١٨٠ ٩٦٥ + - ٢٢٥١٩٥٣٩ ٩٦٥+

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة، أو أى وسيلة نشر أخرى، أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

رحلة مع
الخطاب الديني

(مجموعة مؤلفين)

مجلة المجتمع


بسم الله الرحمن الرحیم

مقدمة

بين تمسك بالأصالة والتراث، ودعوات للحداثة والعلمنة، تفرض قضية تجديد الخطاب الديني نفسها على مائدة الباحثين والعلماء من كافة الأطياف، وسط تحيزات وتجاذبات سياسية وفكرية، قد تأخذ بالقضية إلى منحى آخر، يضر بها شكلاً ومضموناً، وقد يذهب بها إلى مآرب أخرى.

ومع التطور الهائل في وسائل الاتصال والتواصل والإعلام، وتنوع القضايا المستحدثة، يواجه الخطاب الديني تحديات غير مسبوقة، وتساؤلات شائكة حول هوية هذا التجديد، ومرتكزاته، وأدواته، وأهدافه بما يلبي احتياجات المسلمين، ويشبع تطلعات الآخر إزاء معرفة الإسلام بصورته الحقيقية والحضارية، التي تلوثت، في كثير من الأحيان، بأخطاء بنيه وأهله، الأمر الذي يحتّم علينا استشراف إمكانات ومضامين التجديد في العصر الحالي.

وقد تكون الحاجة ماسة وملحة، أمام أبناء الأمة؛ لابتكار واستحداث منابر جديدة، تكون قاطرة للعلم والمعرفة والدعوة، وهي تنطلق في آفاق الفضاء الافتراضي، تغزو وسائل الإعلام والتواصل؛ ما يتطلب رؤية جديدة، وآفاقاً أوسع تنهض بدور المنبر في المجتمع، وتعزز تأثيراته في شتى مناحي الحياة.

«المجتمع» تطرح، في هذا الإصدار، رؤية جديدة، بقلم نخبة من أبرز كتَّابها ومفكريها.

مجلة «المجتمع»

ماهية الخطاب الديني وإمكانات التجديد

د. مي سمير

يشير مصطلح الخطاب الديني إلى تلك المجموعة من التوجيهات والإرشادات التي تصدر عن المؤسسات الدينية أو الأفراد من أجل تنظيم وتوجيه الجماعات لما فيه صلاحهم الديني، ويتم بثها في شكل خطب أو رسائل أو مؤلفات أو دروس أو فتاوى باستخدام طيف واسع من وسائل الاتصال وطرائق النشر، وبذلك يعبر مصطلح الخطاب الديني عن واحد من أهم المكونات التي ينطوي عليها المجتمع المسلم، إذ يضم كل ما هو مستند إلى الدين ومعبر عنه ابتغاءً لتحقيق الخير العام للفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، ويتطرق إلى كافة موضوعات حياة الفرد والمجتمع من عبادات ومعاملات وسياسة واجتماع واقتصاد وأخلاق وقيم.

تحديات الخطاب الديني المعاصر:

وفي عصرنا الراهن حيث تعقدت الحياة وتطورت وسائل الاتصال بشكل غير مسبوق، وتنوعت القضايا المستحدثة التي يحتاج المسلمون لفتاوى بشأنها، وكثرت الفتن التي تحيط بالمسلمين وبخاصة الشباب والنشء بما يتطلب خطاباً توعوياً محفزاً للعقلية النقدية ومشجعاً على الوعي والمقاومة الفكرية والثقافية، فإن الخطاب الديني يواجه تحديات غير مسبوقة في مسائل التطوير والتجديد، وفي الشكل أو المضمون أو الوسائل بما يواكب العصر ويعزز الفاعلية.

ويواجه الخطاب الإسلامي المعاصر عدداً من المعوقات أمام النجاح المأمول لمحاولات الإصلاح، في ظل انقسامات فكرية وحضارية ومطالبات تخضع لثنائية

«نحن/ الغرب»؛ مما جعل مسألة التجديد بمثابة أداة يتم توظيفها بين فريقي التغريب والمحافظة، وهي الثنائية التي تهدد أي محاولات لتجديد الخطاب وتهدر الطاقات في تجاذبات ثنائية فرضها الغرب على الأمة منذ قرون لإشغالها في صراعات جانبية عن الوصول إلى حلول ناجعة لمشكلات المجتمع، ومن أبرز تلك الثنائيات والاتهامات التي تحاصر عمليات تجديد الخطاب الديني وتحول دون نجاحه:

- **التطرف والوسطية:**

يعيش الخطاب الديني الإسلامي اتهامات غربية بالأساس بالتطرف تلاحقه وتحاصره داعية إياه بانتهاج الوسطية التي تبتغي بالأساس تفريغ الخطاب الديني من مضمونه وتمييعه إلى الحد الذي يكون فيه مقتصراً على مناقشة العبادات دون المعاملات والخصوصيات دون العموميات، وهي الدعوات التي دفعت كثيراً من اجتهادات التجديد نحو محاولات الدفاع عن الإسلام من تهم التطرف والغلو والإرهاب وأفسدت جوهر التجديد الذي ينبغي أن يستهدف حاجات المجتمع الحقيقية بعيداً عن الاتهامات الغربية الجاهزة.

- **الموضوعية والتغريب:**

نتج عن الضغوط التغريبية التي شهدها العالم الإسلامي منذ الحملات الاستعمارية الغربية، أن سعت كثير من المحاولات التجديدية إلى إصلاح الخطاب الإسلامي باستخدام مفاهيم وأدوات غربية بالأساس، عبر نقل التجربة الغربية في الإصلاح الديني التي لا تتشابه بأي شكل مع التجربة الإسلامية، وهي محاولات أرادت فرض العلمنة على الدين الإسلامي وخطابه بفصله عن الحياة السياسية تحت دعاوى التسامح واحترام الآخر والفردانية والمواطنة، وهي الدعاوى التي كانت تمثل مطالبات منطقية في ظل الحروب الدينية الطاحنة التي شهدتها أوروبا إبان اقتتال

الكاثوليك والبروتستانت؛ مما فرض على الخطاب الديني الإسلامي تحدي مواجهة تلك الموجات التغريبية وأشغلت صناع القرار في المؤسسات الدينية بمحاولات تجديدية تخضع لتقييم غربي من خارج النطاق الإسلامي برمته وأنتج تبعاً لذلك محاولات مشوهة لتجديد الخطاب الإسلامي بمعايير غربية مفروضة من الخارج.

- الانفتاح والمحافظة:

أسفرت الاتهامات الغربية للإسلام عن خضوع محاولات التجديد لإملاءات خارجية تتطلب صياغة خطاب ديني منفتح على الآخر، وهو ما خلق نوعين من الخطاب الديني، الأول رسمي يسعى لاسترضاء الغرب بالتخلي عن كثير من مضامين الخطاب التي تطالها انتقادات، والآخر غير رسمي تبنته الجماعات الإسلامية المتشددة ذاهبة في الاتجاه الآخر ومستغرقة في الرجعية والتحفظ ابتغاء الوقوف في وجه الغرب، وفي كلا الحالتين ساهمت تلك الإملاءات والاتهامات في تشويه تجديد الخطاب الديني على النحو الأمثل الذي يخضع لنقد وتصحيح ذاتي ويستجيب بشكل موضوعي لحاجات ومتطلبات الأمة الإسلامية، وأغرق مسؤولي تجديد الخطاب الديني في جهود الدفاع عن الخطاب الديني دون الإقدام بشكل حقيقي على نقده موضوعياً ومن ثم تصحيح الأخطاء.

- التقليد والاجتهاد:

يواجه الخطاب الديني المعاصر تحدياً بارزاً في مسألة الاجتهاد والتقليد، ففي ظل تراجع حضاري وثقافي طال كافة مجالات الفكر في العالم الإسلامي، وانهيار الأنظمة التعليمية التي تحض على النقد والإبداع والاجتهاد والمنهجية العلمية، صار الاجتهاد متعذراً في كثير من الأحيان لعدم وجود الكفاءات حيناً ولعدم تشجيع مبدأ الاجتهاد نفسه أحياناً أخرى لغياب الإرادة السياسية والدينية لدى كثير من الدول

الإسلامية، وهو ما طبع محاولات التجديد في كثير من الأحيان بطابع جزئي وقصير الأمد وشكلي مع استمرار نفس المشكلات التي يعاني منها الخطاب الديني منذ عقود.

انتقادات الخطاب الديني:

- الجمود: يشوب الخطابَ الديني جمودٌ على أكثر من مستوى، فعلى مستوى المضمون لا تزال كثير من القضايا والاجتهادات هي نفسها التي درج المسلمون عليها منذ قرون، مع إغفال كثير من المسائل والتحديات التي تتطلب تجديداً في الاجتهاد وإبداعاً في التعاطي، وعلى مستوى الوسائل يشمل الجمود غياب الوعي بالتكنولوجيا الحديثة واستخدامها بالشكل الأمثل للوصول إلى الأجيال الجديدة وفهم طرائق تفكيرها للتأثير فيها بالشكل الأمثل.

- **التطرف**: نتيجة تعرض كثير من المجتمعات الإسلامية للإرهاب الغربي على خلفية الاحتلال واستنزاف الثروات والهيمنة الاقتصادية، فإن خطاباً إسلامياً متطرفاً ضد الغرب بشكل أساسي قد نبت وانتشر وحقق جاذبية كبيرة بين فئات متنوعة من المسلمين وشجع كثيرين على دفع المظالم باستخدام العنف، وهي انتقادات يجب أن تؤخذ في الاعتبار عبر صياغة خطاب ديني جديد يعتمد على الوعي ويحض على المقاومة الفكرية والحضارية كوسيلة أنجع وأكثر فاعلية من العنف.

- **الطائفية**: ساهمت مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية في ترسيخ التفكير الطائفي في العالم الإسلامي، وهو ما انعكس بدوره على كثير من أشكال الخطاب الديني خاصة غير الرسمي ولدى الجماعات الإسلامية، وهو ما يتطلب جهداً كبيراً في صياغة خطاب ديني عالمي يستوعب الاختلافات وينبذ الخلافات التي يتم استخدامها لتمزيق المسلمين.

- **الانعزال عن المجتمع**: تتم كثير من مناقشات ومحاولات التجديد المنشودة بمعزل عن المجتمع المعني أساساً بهذا الخطاب، بما يجعل كثيراً من التجارب التجديدية بعيدة عن أهداف وتطلعات المجتمع ولا تلبي حاجاته بشكل حقيقي، وهو ما يسهم في استمرار توسيع الهوة بين الخطاب الديني -خاصة الرسمي- والمخاطبين به، ويدفع باتجاه لجوء هؤلاء المخاطبين لخطابات دينية غير رسمية وغير خاضعة لأي رقابة حقيقية بما يقلل الثقة في الخطاب الرسمي ويهدر جهود التجديد.

إن الخطاب الديني لا يرادف الدين، بل هو اجتهادات بشرية لاستنباط أحكام وتوجيهات دينية من النصوص الإسلامية ومصادر التشريع الأساسية، وهي الاجتهادات التي حتماً يجب أن تخضع للتمحيص والنقد والتجديد بمرور الوقت، عبر مراعاة مستحدثات الأمور والقضايا وتطورات التكنولوجيا ووسائل الاتصال، وتحقيق اتصال فعال بالمخاطبين لتلمس احتياجاتهم وتطلعاتهم وفهم متطلباتهم لتحقيق أقصى فعالية ممكنة للخطاب الديني وللحيلولة دون ظهور خطابات دينية بديلة تعمل على شرذمة الخطاب الإسلامي وتشويه صورته ونشر قيم وتوجيهات غير مستحبة.

الواقع وإشكالياته في الخطاب الديني المعاصر

د. فاطمة حافظ

اعتنى القرآن الكريم بالواقع وضرورة فهمه، ودعا إلى السير في الأرض ومعرفة دواعي نشوء الأمم وسقوطها، وعلاقة الواقع بالعلوم الإسلامية وثيقة؛ حيث ساهم في تشكيل عدد منها كعلم الفقه والأصول والفتوى والمقاصد وعلم أسباب النزول وغيرها، ولهذا انشغل علماء السلف بالتنظير للواقع، وفي مقدمتهم ابن القيم في كتابه «إعلام الموقعين»؛ إذ افترض حاجتنا إلى فهم الواقع والفقه فيه، حتى نصل إلى حكم الله في هذا الواقع، وهو أمر متعذر -كما يعتقد- لأن الواجب شيء والواقع شيء، والفقيه من يطبق بين الواقع والواجب، فلكل زمان حكم.

وتواصل الاهتمام بالواقع في عصرنا الحالي إذ أرسى العلماء قواعد ما يسمى «فقه الواقع» أو «فقه الحال»، وممن أسهم فيه الألباني، والقرضاوي، والترابي، وحسن حنفي، وعبدالمجيد النجار، والنويهي، وأحمد بوعود، وطه العلواني، ويعد الأخير من منظري فقه الواقع المبرزين، وقد قدم أفكاره في كتابين من كتبه وهما «معالم في المنهج القرآني» و«مفاهيم محورية في المنهج والمنهجية»، وفي السطور التالية نعرض لتعريف الشيخ للواقع ومستوياته المختلفة وكيفية تعامل الفقيه معه:

والواقع كما يعرفه العلواني هو: ذلك المؤلف المزيج المركب من كل شيء أو شأن ذي علاقة بنا من وقائع طبيعية وظواهر إنسانية واجتماعية ودينية ومؤثرات حضارية وبيئية وفلسفية تحيط بنا فتشكل أفكارنا أو تؤثر فيها وتتأثر بعد ذلك بها، وتشكل دواعي ودوافع الحركة في أفعالنا.

وهذا الواقع له وجود خارجي مستقل عنا مهما بلغ تأثيرنا فيه، وتصورنا له وتحليلنا له يجعل له وجوداً ذهنياً في عقولنا، وبهذا المعني فالواقع ليس الموجودات المادية والوقائع الفعلية وحسب، ولكنه كذلك الموجودات الذهنية والمعرفية؛ أي صورة الواقع في أذهاننا.

وهذان المستويان من الواقع هما صدى لما ذكره القرآن، فالواقع في المنظور القرآني يبدأ فكرة في الذهن قد تكون بسيطة يمكن إدراجها في إطار التصور الأولي، فإذا تفاعل الذهن معها واتضحت بذلك التفاعل انتقلت لمرحلة التصور وصارت لها خصائص ومقومات، فإذا تفاعل معها الذهن وحصلت بها القناعة انتقلت إلى العقل ليطبق عليها منطقه ويختبر بذلك سلامتها، وعندئذ تنتقل إلى القلب وتصبح عقيدة وإيماناً يقينياً فتحرك الإرادات والدوافع لدى الإنسان أو ما يسمى النية ومعها يتحول الوجود الذهني والعقلي إلى وجود حسي ملموس بفعل إنساني.

ويفترض العلواني أن بروز الفعل الإنساني في إطار الوجود الحسي يصحبه بالضرورة حضور الشرع لتقييمه وبيان مدى مشروعيته وما يترتب عليه من آثار، وعليه لا يمكن حصر الواقع في حيز الوجود المادي لأنه بمثابة منظومة دقيقة كاملة تبدأ بالفكر ولا تنتهي عند الوجود الحسي الأولي للفعل الإنساني، وما يترتب عليه من أحداث وأشياء، بل يتجاوز ذلك إلى مرحلة التقييم ثم الجزاء، وفي جميع هذه المراحل يبرز دور الشيطان الذي يستهدف التدخل من أجل إفساد الواقع الحق وخلق واقع باطل بعيد عن توجيهات الشرع.

ومن التنظير إلى التفعيل ينتقل العلواني إلى مقاربة الواقع المعاصر وإشكالاته، لافتاً النظر إلى أن فقه الواقع يثير الشكوك لدى فريقين من الإسلاميين، وهما: التراثيون أو السلفيون الذين يرون في فقه الواقع دعوة مبطنة لتجاوز التراث؛ وهو ما

يصرفهم عن فهم الواقع ودراسته دراسة جادة، وفي هذا دليل على روح الاستسهال التي ولدتها طبيعة التقليد وعقلية العوام، والحركيون الإسلاميون الذين يظنون في الواقعية رمياً لهم بتهمة الغيبية ومفارقة الواقع؛ وهو ما يؤثر سلباً على قيامهم بواجب الدعوة وأدائها بصور ساذجة لا تتلاءم مع معطيات الواقع ومستجداته.

ويتعذر على كلا الفريقين ممارسة جهد فهم الواقع وإدراكه على الوجه الصحيح؛ لأن له شروطاً يفتقدها هؤلاء، وهذه الشروط يجملها العلواني في الآتي:

- تحديد علاقتنا بالآخر وما أنتجه من دراسات بشأن الإسلام والمسلمين، والقدرة على رصد التحيزات الكامنة فيها وتحديد ما يمكن الإفادة منها وما ينبغي رفضه، إذ لا يسعنا الرفض الكلي لما ينتجه الآخر والانغلاق حول الذات.

- الوعي بمكونات ومقومات الفكر الإسلامي المعاصر، والتمييز بداخله بين ما كان منحدراً من التراث والخبرة الحضارية الذاتية، وما كان حصيلة التفاعل مع فكر وثقافات الأمم الأخرى.

- تحديد الموقف من المنهج الغربي الذي يؤمن بمقولات حياد الأدوات والشروط، بل حياد العلم ذاته وموضوعيته المطلقة، وغير ذلك من المقولات التي استعملت لتعزيز النتائج التي توصل إليها الآخر وهو يقوم بدراستنا وتكريسها باعتبارها نتائج يقينية لا يرق إليها شك.

ومع تحقق هذه الشروط يثار السؤال حول كيفية فهم الواقع والتعامل مع إشكالاته، ويتبنى العلواني في إجابته منهجية علم الأصول؛ وملخصها أنه إذا عرضت على المجتهد نازلة ينبغي له الإحاطة بها علماً ومعرفة أسبابها، فإذا فرغ توجه إلى القرآن الكريم يستخرج منه كل ما له علاقة بها، ثم يعرج على سُنة الرسول صلى الله

عليه وسلم، ثم عمل الصحابة والتابعين من بعدها.

ومن أجل حل أسئلة الواقع يقترح العلواني أن يصوغ العالم سؤالاً أو إشكالاً معرفياً محدداً، فهذا السؤال بمثابة النازلة، ثم يذهب به إلى القرآن ملتمساً الجواب، مفترضاً أن من يقرأ القرآن بدون إشكالية أو سؤال يصعب عليه أن يتجاوز في فهمه للقرآن الجوانب التعبدية والفهم الظاهري للآيات، وهنا يلفت النظر إلى إخفاقنا في العثور على حلول قرآنية لأزماتنا راجع إلى أننا نقارب القرآن من زوايا مختلفة ليس المنهج من بينها، فنحن نقاربه تعبداً، ونقاربه تفسيراً، ونقاربه أحكاماً وفقهاً، لكننا لا نقاربه بحثاً عن منهجية تساعد في حل إشكالات الواقع وتبحث عن إجابات لها من خلاله، ولا يقف العلواني عند هذا الحد، وإنما يسوق نماذج تطبيقية لإشكالات الواقع من مثل إشكالية فاعلية الإنسان، وإشكالية علاقة الأسباب بالمسببات، وإشكالية التشريع الإسلامي، وهل عقوباته عنيفة، ويقدم من خلالها نماذج لكيفية مقاربة قضايا الواقع انطلاقاً من القرآن الكريم.

إن الخطاب الديني المعاصر انشغل بالواقع ومحاولة حل إشكالاته انطلاقاً من الأصول التأسيسية الإسلامية، وفي هذا دلالة على أنه ليس خطاباً ماضوياً يجتر مقولات التراث كما يروج بعضهم.

ملاحظات نقدية على الخطاب الديني الموجَّه للأسرة

همام الطوالبة

في ظل التحديات المختلفة والاضطرابات المتنوعة التي تعاني منها الأسرة اليوم بسبب انتشار قيم العولمة ووسائلها، يبرز دور الخطاب الديني كأحد أهم الأسباب التي يمكن أن تعيد للأسرة توازنها واستقرارها ودورها، وذلك لأن الخطاب الديني يستمد مضمونه من شرع الله العليم الحكيم، ويحمل في طياته تلك القيم الربانية التي أثبتت دورها وفعاليتها طوال التاريخ الإسلامي العظيم، ولأن الخطاب الديني يتمتع باحترام وتقدير كبيرين في نفوس أغلب الناس؛ ما يجعله أحد أكثر الخطابات المتداولة تأثيراً، إن لم يكن أكثرها.

فهل استطاع الخطاب الديني المتداول اليوم أن يحقق ذلك التأثير المأمول في مواجهة قيم العولمة وتحدياتها المفروضة على الأسرة؟ أم أنه بحاجة إلى مزيد من التقييم والتقويم ليحقق أهدافه النبيلة ومقاصده الربانية؟

نحاول في هذا المقال أن نرصد بعض الملاحظات النقدية الموجه إلى الخطاب الديني، سعياً في الارتقاء به وتطويره، فالخطاب الديني في نهاية الأمر اجتهاد بشري ينتسب إلى الدين ويعتمد عليه، أو هكذا يجب أن يكون، والخطأ البشري وارد فيه، بل هو واقع، أما الدين بوصفه وضعاً إلهياً فأحكامه منزهة عن النقض والنقد.

أولاً: الخطاب الجامد:

يعتقد بعض أصحاب الخطاب الديني المعاصر أن مجرد نقل الفتاوى الفقهية كما وردت في كتب الفقهاء كفيل بمعالجة مشكلات الأسرة واضطراباتها، وكأن

الفتوى الفقهية تعمل في فراغ وتطبق في أي مساحة وساحة، وهذا خطأ كبير في فهم حقيقة الفتوى وواقعيتها، فالفتوى الشرعية تُبنى على معرفتين؛ معرفة بالشريعة الغراء وعللها ومقاصدها، ومعرفة بالواقع الذي تتنزل فيه أحكام تلك الشريعة وسننه وأحكامه، وإن أي خلل أو قصور في هاتين المعرفتين يعني قصوراً في الفتوى نفسها.

وحين ينزل الداعية تلك الفتاوى القديمة على الحالات المعاصرة دون مراعاة لتلكم التغيرات التي حدثت في الواقع فإنه يضر ويفسد من حيث أراد أن يحسن ويصلح، والأسرة اليوم واقع مركب ومتشابك تتنازعه قيم الشرق والغرب في مختلف الجوانب النفسية والاجتماعية والاقتصادية؛ وبالتالي فإن نقل الفتوى القديمة فقط لا يكفي لبيان الحكم الشرعي، إلا إن تأكدنا من مطابقة الحال للحال والمآل للمآل.

إن الأسرة اليوم لا تصلح ببيان الحقوق والواجبات فقط، ولكنها تحتاج إلى إرشاد نفسي وتوجيه اجتماعية وفقه مالي ونصيحة صحية وذوقية حتى في العلاقة الخاصة بين الزوجين، خاصة في عالم مفتوح وقرية عالمية صغيرة تجمع كل الثقافات الإنسانية على شاشة هشة توصف بالذكاء!

ثانياً: الخطاب الناقص:

ومن ناحية أخرى، يلاحظ المتابع للخطاب الديني المعاصر الموجه للأسرة وجود خطاب ديني ناقص منتزع من سياقه الشرعي المتكامل، كقطعة منفردة من قطع البزل، التي لا تكفي وحدها لإعطاء الصورة الكاملة حقها من التعبير عن مضمونها ورسالتها، خطاب مفرق ممزق في حق زوجي هنا أو واجب شرعي هناك، لا يلاحظ النظرة الكلية الشاملة للحياة الأسرية، ويقدم معالجات جزئية لا تراعي القواعد المترابطة الناظمة للأحكام الشرعية المتعلقة بالأسرة.

فالشريعة حين تخاطب الزوج بحق المهر والنفقة تخاطب الزوجة بحق الطاعة والقوامة، وحين تأمر الولد بطاعة الوالدين فإنها تجعلها في حدود المعروف وبما لا يخالف أمر الله في حق الزوجة أو الولد، في توزان رباني دقيق يضمن كل الحقوق ويشمل حالات المجتمع المختلفة كلها، وإن الخطاب الناقص أو الجزئي يخل بهذه الرؤية الشرعية المتكاملة والمترابطة.

ثالثاً: الخطاب الغائب:

وهو ذلك الخطاب الذي يُغفل أو يتغافل عن تحديات الأسرة المعاصرة واحتياجاتها، ويقدم خطاباً رومانسياً لا يشتبك بالواقع ومتطلباته، كأنه في جزيرة معزولة عن العالم أو في حقبة تاريخية قديمة لها واقع غير هذا الواقع الذي نعيش فيه، خطاب بارد آثر الراحة والكسل على التفكير والعمل، لتبقى الأسئلة التي تشغل بال الأسرة معلقة، والمعضلات التي تفتك بكيانها بلا طبيب ولا دواء.

إن التحديات الأسرية المعاصرة ضاغطة، وهي بحاجة إلى من يشتبك معها بواقعية، خاصة في ملفات: الإلحاد والنسوية وظلم المرأة والإباحية والتفاهة وثقافة الاستهلاك ونحوها، ولا يجوز للخطاب الديني أن يَغيب أو يُغيَّب عن هذه التحديات، بل عليه أن يقدم رؤيته العلمية والعملية بما يعين أرباب الأسر على قيادة دفة الحياة نحو شاطئ الأمان وبر السعادة الأسرية.

رابعاً: خطاب الدخن:

وهو ذلك الخطاب الذي مزج الخطاب الديني الأصيل بأفكار نسوية مادية تارة أو أفكار ذكورية تقليدية تارة أخرى، وأضفى على الجميع صبغة دينية تُشرِّعها وتقوِّيها، وتتركها تتصارع في المجتمعات العربية والإسلامية، وتصرع معها الأسرة وأهدافها الإنسانية وغاياتها الربانية.

فتجد اليوم -للأسف الشديد- خطاباً دينياً ينتسب إلى الإسلام ويقدم في بلاد المسلمين، ولكنه متأثر ببعض الفلسفات المادية الغربية التي تتمركز حول الأنثى وتصور علاقتها بالرجل علاقة صراع ونزاع في الحقوق والصلاحيات، وفي مقابله خطاب ديني آخر يستند إلى العادات والتقاليد يبرر ظلم المرأة وتجاوز حقوقها باسم الدين، وبينهما تحار الأسرة المسلمة وتفقد توازنها ويتوزع أفرادها، والدين الحق لا يقر هذا ولا ذاك.

إن الخطاب الديني الموجَّه إلى الأسرة يحمل غاية عظيمة من أعظم غايات الدين الرباني الحق الذي أنزله الله تعالى ليسعد به الإنسان في الدنيا والآخرة، ألا وهي غاية صلاح الأسرة وصلاح أبنائها، وبحضور هذا الخطاب وصلاحه واستقامته رضا الرحمن وسعادة المجتمع والإنسان.

النساء في الخطاب الديني.. قراءة في فتاوى مختارة

د. فاطمة حافظ

تشغل المسألة النسائية موقعاً متقدماً ضمن الفتاوى الإسلامية المعاصرة، حيث تشير دار الإفتاء المصرية إلى أن «فتاوى المرأة» تمثل ٢٥٪ من إجمالي موضوعات الفتاوى على مستوى العالم الإسلامي، وترتفع النسبة في البلدان العربية لتصل إلى ٤٥٪، ومعظمها يتعلق بالعلاقات الأسرية والمواريث وعمل المرأة وحقوقها وما إلى ذلك.

وفي السطور التالية، نتناول بعض الفتاوى الصادرة عن تيارات إسلامية مختلفة (سلفية، وسطية، تجديدية) لأجل رصد مدى الاتفاق أو الاختلاف في التعاطي مع الشأن الاجتماعي، ولنشرع بقضية المساواة بين الجنسين.

تجمع التيارات الإسلامية على رفض دعوى المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، وتعد مصطلح المساواة بين الرجل والمرأة مصطلحاً مشبوهاً، يستعمله أعداء الإسلام ليضادوا به أحكام الله سبحانه، ويناقضوا به شرعه، كما يقول الداعية السعودي محمد صالح المنجد.

وهو يشدد على الاختلافات الجنسية ويدعي أنها «موجودة في تشريع رب العالمين، ولسنا نخجل من وجودها، بل نفخر بتشريعها وأن الله تعالى جعل للمرأة رسالة في حياتها تختلف عن الرجل؛ فالاختلافات في الخلقة والتكوين والصوت والهيئة لا يُنكر، وإذا ثبتت تلك الفروق في تلك الأشياء، فمن الطبيعي أن يترتب عليها بعض الاختلافات في الأحكام»، وهكذا ينتج عن الاختلافات البيولوجية التمايز في

الوظائف والأدوار الإنسانية، فوظيفة المرأة الإنجاب وصيانة الحياة الأسرية، ووظيفة الرجل تأمين المعاش.

ويعضد الوسطيون فكرة الربط بين الاختلاف البيولوجي واختلاف أدوار الجنسين، ففي سؤال ورد لموقع «إسلام ويب» حول المساواة أجابت لجنة الفتوى بما نصه: «ومساواة الجنسين مساواة مطلقة هي الظلم لهما عند العقلاء وأصحاب الفطر السليمة.. والعقل والفطرة يجزمان بأن لكل من المرأة والرجل خصائصه المبنية على تكوينه العقلي والنفسي والجسماني الذي يختلف اختلافاً واضحاً عن الطرف الآخر، فهل يعقل أن تتساوى وظيفتهما مع هذا الاختلاف».

لكن الفتوى تضيف بُعداً جديداً لمسألة الاختلاف البيولوجي، إذ تجعل منه سبباً لقوامة الرجل على المرأة، وتعللها بأنها ما شرعت إلا لتعين المرأة على التفرغ لأداء وظيفتها الكبرى؛ إذ لا يعقل أن يطلب منها رعاية مصالح البيت والأولاد والكد والعمل لإعالة أسرتها في آن.

وإذا كانت الآراء تتفق بشأن قضية المساواة بين الجنسين، فإن ثمة قضايا أخرى تتفاوت فيها الآراء، ومنها قضية عمل المرأة المأجور خارج منزلها، والفرضية التي ينطلق منها الخطاب الديني عموماً هي أن الأصل بقاء المرأة في بيتها، وهذا الرأي تتبناه هيئة الفتوى ولجانها بدولة الكويت التي ذهبت في فتوى لها حول حكم خروج المرأة من منزلها إلى أن «الأصل في حال المرأة القرار في البيت؛ لتربية الأولاد، والعناية بشؤون الزوج والأسرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣]، فإذا خرجت لمصلحة معتبرة جاز بإذن الزوج أو وليها»، مع مراعاتها للضوابط الشرعية.

وعلى الرغم من هذه الفرضية، يتبنى التيار الوسطي مرونة في مسألة عمل المرأة،

يستشف هذا من فتوى قدمتها عاملة بالتمريض إلى موقع «إسلام ويب» وتسأل عن حكم عودتها متأخرة ليلاً، وترك العمل الذي يدر عليها دخلاً مناسباً، وجاء الجواب كالتالي: عودة المرأة من العمل في الليل لا يمنعها شرعًا من العمل إن كانت تأمن على نفسها في هذا الوقت، ومن الخطأ القول بأن المرأة ليس لها أن تكسب أموالاً كثيرة، أو ليس لها أن تتقدم علميًا، أو أن ذلك قد يسبب تأخير زواجها، بل قد يكون تعلم المرأة، وعملها من دواعي الزواج منها، ويرغب بعض الناس في مثلها، وخاصة في هذا الزمان الذي صعبت فيه أمور الحياة، ومعلوم أن المال مما يرغب الرجال في النساء، كما في الحديث النبوي: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ».

وفي ذات الاتجاه يذهب الشيخ يوسف القرضاوي في جوابه عن سؤال حول الحدود الشرعية لعمل المرأة إلى أن بقاء المرأة في بيتها ورعايتها لأسرتها هو الأصل، لكنه يستدرك مباشرة بالقول: «وهذا لا يعني أن عمل المرأة خارج بيتها محرم شرعًا، فليس لأحد أن يُحرم بغير نص شرعي صحيح الثبوت، صريح الدلالة، والأصل في الأشياء والتصرفات العادية الإباحة كما هو معلوم، وعلى هذا الأساس يقرر أن عمل المرأة في ذاته جائز، وقد يكون مطلوبًا طلب استحباب، أو طلب وجوب، إذا احتاجت إليه: كأن تكون أرملة أو مطلقة ولا مورد لها ولا عائل، وهي قادرة على نوع من الكسب يكفيها ذل السؤال أو المنة».

وعلى الجهة المقابلة، يتبنى التيار السلفي خطاباً متشدداً؛ إذ رغم إقرار دعاته أن عمل النساء المأجور جائز شرعاً، فإن هذا الجواز ليس له صدى في الفتاوى، ولنضرب مثالاً بفتوى عرضت على موقع «الإسلام سؤال وجواب»، وفيها تقول السائلة: إنها أستاذ للآداب والحضارة الأنجلوسكسونية بإحدى الجامعات، وتبتغي

من وراء عملها كشف التحيزات في رؤية الحضارة الغربية للإسلام، وربط الطلاب بحضارتهم وبيان محاسنها، وتسأل عن جواز اشتغالها بالجامعة مع هذه النية.

وأجابها الشيخ صالح المنجد أن الأصل بقاء المرأة في بيتها، فإن كانت هناك حاجة مباحة أو منفعة لها أو للمجتمع المسلم فلا بأس من الخروج إذا التزمت بالضوابط الشرعية من حجاب وغض للبصر وعدم اختلاط بالرجال، لكنه لم يلبث أن ربط بين الخروج للعمل والفتنة، مستحضراً الأحاديث النبوية في ذلك -دون توضيح مدى مناسبتها للسياق- لينتهي إلى أن كل ما يؤدي إلى الفتنة يجب اجتنابه، وخلص منها إلى أن عمل السائلة لا يخرج عن حالتين:

الأولى: كون جميع طلابها نساء، وفي هذه الحالة يجوز قيامها بالتدريس لأن الأصل في الأشياء الإباحة.

والثانية: كون الطلاب خليطاً من النساء والرجال، وفي هذه الحالة يشوب العمل أمور محرمة كالاختلاط؛ وعليه، فإن المصلحة من العمل «قد تحصل وقد لا تحصل، ولا يجوز للمسلم أن يرتكب أمراً محرماً من أجل مصلحة مظنونة»، لينتهي إلى عدم جواز اشتغال المرأة في الجامعة المختلطة.

يفهم مما سبق أن ثمة مشتركات بين الخطابات الإسلامية بشأن المسألة النسائية من قبيل رفض فكرة المساواة وأولوية الأسرة بالنسبة للمرأة وغيرها، كما أن هناك تقاطعات لا ينبغي الغض عنها من مثل عمل المرأة وشروطه.

تجديد الخطاب الديني.. ضرورة شرعية و«كمين» علماني!

كريم الدسوقي

لم يكن مفهوم «تجديد الخطاب الديني» يوماً جديداً على المسلمين منذ العهد النبوي، إذ لطالما كان مرتبطاً بتعاليم الدين نفسه، باعتبار أن التجديد هو عملية دورية ضرورية لإزالة ما علق بأفهام الناس من أضاليل وأباطيل، يظنونها ديناً، وهي ليست منه، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (رواه أبو داود)، غير أن التوظيف الإعلامي والسياسي لدعوى التجديد في عصرنا يستدعي الحذر من كمين قد ينخدع فيه كثير ممن غاب عنهم التحصين الشرعي.

فالحديث النبوي يضع حجر الأساس لفكرة أن الإسلام، باعتباره دينًا صالحًا لكل زمان ومكان، يحتاج إلى تجديد في فهم النصوص بما يتناسب مع تطورات الزمن دون أي مساس بثوابت الإيمان والشرع، بينما يسعى دعاة التجديد التضليلي إلى تفكيك الأسس الدينية تحت مسمى الحداثة أو التنوير.

يعلمنا القرآن الكريم أن الحيلة الإبليسية المتكررة في تزيين الباطل هي الدعاية عبر تسمية الباطل بغير اسمه، فالشجر المحرمة في وسواس الشيطان لآدم عليه السلام هي شجرة الخلد، والخمر المحرمة في كتاب الله هي في دعاية الضلال مشروبات روحية، وهكذا يصبح الحرام حلالاً والباطل حقاً لغير المحصن معرفياً.

إن التجديد في الإسلام عملية فقهية، كما حددها الحديث النبوي، وتهدف إلى

توضيح المفاهيم الدينية بما يتماشى مع تغيرات الزمان والمكان، ومحاولة تطبيق المبادئ الإسلامية على قضايا معاصرة مع المحافظة على روح الشريعة وثوابتها، وإعادة تنزيل النصوص الشرعية على المستجدات، وهو ما يُعرف في تراثنا بـفقه الواقع.

ووفق هذا المعنى، فأي دعوة إلى تجديد تمس الأصول هي دعاية إبليس إلى شجرة خلد جديدة، أما الاجتهاد فيعرفه العلماء كأحد أساليب التجديد، وهو بذل الجهد في استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها (القرآن، السُّنة، الإجماع، والقياس) بما يتوافق مع الأوضاع المستجدة، وقد أظهر هذا الفهم، على مر العصور، كيف أن الإسلام كان دائمًا قادرًا على التجدد والتكيف مع التحولات الحضارية.

وفي عصر العولمة وتطورات التكنولوجيا والإعلام، أصبحت المجتمعات أكثر تداخلًا، وباتت الأفكار تنتقل بسرعة لحظية، ما يفرض على المسلمين مواجهة مسائل جديدة تتطلب إجابات شرعية تتعلق بقضايا مثل حقوق المرأة، والديمقراطية، والحرية الشخصية، وهي ليست قضايا محلية فحسب، بل أصبحت موضوعات تفرض نفسها عالميًا وتحتاج إلى خطاب ديني يجمع بين الأصالة والمعاصرة من أهل العلم.

لكن واقعنا بكل أسف يشير إلى تقصير جسيم في هذا الجانب؛ ما سمح بتسلل دعايات التجديد العلمانية استغلالاً لحالة فراغ خلافاً لتجاهل الخطاب الديني التقليدي لتطورات العصر أو لمقتضيات الواقع، وهو ما حذر منه سلطان العلماء، العز بن عبدالسلام، رحمه الله، بقوله: من نزل بقريةٍ فشا فيها الربا فخطب عن الزنى فقد خان الله ورسوله!

ضوابط ضرورية:

لكن كيف يمكننا ضبط عملية التجديد التي تحمي الدين من الانحراف، وفي الوقت نفسه تجعله قادرًا على الاستجابة لتحديات العصر؟ أول تلك الضوابط تحديد الثابت والمتغير في مساحات دلالة النصوص الشرعية، سواء المتعلقة بالعقيدة أو العبادات أو المعاملات، فالثابت لا يجوز الاجتهاد فيه تحت مسمى التجديد، لأنه وحي قطعي الثبوت والدلالة، وهو ما جاء توجيه القرآن فيه بقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾﴾ [الزُّخرُف:٤٣].

هذه النصوص هي محكم الكتاب، وتشكل الأساس الذي يُبنى عليه أي تجديد في المسائل الأخرى، والتجديد الذي يجب أن يكون مستندًا إلى اجتهاد الراسخين في العلم وليس أفراداً غير مختصين أو مروجين لآراء شاذة أو خروج عن إجماع الأمة.

وهنا يبرز دور المؤسسات الدينية والفقهية في الحفاظ على توحيد الرؤى والابتعاد عن حالة الفوضى الفقهية التي تستهدفها دعاية التجديد العلمانية، وهو توحيد يعود بالنص إلى مقاصد الشريعة، التي تهدف إلى تحقيق المصالح ودرء المفاسد.

وإذا كان التجديد يسعى إلى تحقيق المصلحة الفقهية دون تجاوز الحدود الشرعية، فإنه يحقق التوازن المطلوب بين التمسك بالأصول والاستجابة للمتغيرات، وفي ضوء ذلك يمكن القول: إن تجديد الخطاب الديني هو ضرورة شرعية بقدر ما هو كمين علماني.

فالخطاب الحداثي يسعى إلى علمنة الدين، أي تقليص دوره في الحياة العامة

وحصره في الشؤون الشخصية عبر تحريف مفاهيم نصوصه؛ ما يجعل التجديد ذريعة لتفكيك الدين من داخله، تحت مسمى التنوير، وهو ليس سوى شجرة خلد جديدة تنطوي على تزوير الدين.

يرتبط الأمر إذن بالقدرة على تحقيق التوازن بين الحفاظ على هويتنا الدينية، والتجاوب مع متطلبات العصر، والتجديد من هذا المنظور ضرورة بشرط القيام به من المختصين ووفق ضوابط واضحة تحمي الدين من الانحراف وتضمن استمراريته كمنهج حياة شامل يصلح لكل زمان ومكان، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

إن التجديد الذي ينبع من فهم صحيح للشرع ويتماشى مع مقاصد الشريعة هو سُنة الله في ضمان استمرار الإسلام كدين حي وحضاري، بينما التجديد الذي يسعى لإرضاء القوى الخارجية أو الفكر العلماني هو فقدان للهوية، وعلى المسلمين أن يكونوا يقظين حيال محاولات تحريف دينهم بأشجار الخلد المزخرفة.

كيف نقدم خطاباً دينياً جذاباً للأطفال؟

منى حامد

يطرح كثير من الآباء والأمهات السؤال المعنون للمقال، على خلفية تعاظم تأثير «سحر الميديا» على عقول ونفوس أبنائهم في مقابل خطاب دعوي لا يراه كثير من أطفالهم جذاباً، الأمر الذي يصيب أولياء الأمور بالخوف على مستقبل فلذات أكبادهم.

فالتنشئة على فهم الدين والعيش به ليست فقط جزءًا من التربية التقليدية بالمنازل، بل أيضاً مسؤولية منابر الدعوة في إطار بناء مجتمع يقوم على القيم، وهي المنابر التي تمثل صوت الإسلام للأطفال الذين لا تزال عقولهم ونفوسهم قيد التشكل، وهنا تكمن خطورة الوضع الراهن، إذ مع تعاظم التحديات التي تواجه الأطفال في عالم اليوم، يحتاج الخطاب الديني الموجه لهم إلى دراسة دقيقة تراعي خصائص نموهم النفسي والعقلي، وتتبنى أدوات حديثة تسهم في جعل القيم والمفاهيم الدينية محببة إليهم.

ولفهم كيفية تقديم خطاب ديني جذاب للأطفال، من الضروري فهم النمو النفسي والمعرفي لهم في مختلف مراحلهم السنية، وهو ما فصلته نظرية جان بياجيه التي تعد واحدة من أهم نظريات علم النفس.

يبدأ الأطفال، وفق النظرية، في مرحلة الطفولة المبكرة بـ«التفكير الرمزي»، حيث يتعلمون من خلال القصص والصور، ما يعني أن تقديم المفاهيم الدينية يجب

أن يتم بطريقة قصصية وبصرية تجذب انتباههم وتساعدهم على فهم الرموز الدينية، خاصة أن القصص القرآنية، وفي القلب منها قصص الأنبياء، تمثل محتوى مثالياً لتنشئة الأطفال الدينية، شريطة تقديمها بأسلوب مبسط وبشكل مصور دون تجسيم لأشخاص الأنبياء وفق مقتضيات الحكم الشرعي.

ومن شأن هذا الأسلوب أن يسهم في تنمية الارتباط الروحي لدى أطفالنا، إذ تؤكد الدراسات النفسية المعاصرة أن الأطفال في هذه المرحلة يحتاجون إلى تحفيز خيالي ومعرفي يساعدهم على التفاعل مع العالم من حولهم، وبالتالي، يجب أن يُقدّم الخطاب الديني للأطفال من خلال قصص قرآنية مشوقة تعزز القيم الدينية في نفوسهم، وتربط بين السلوكيات اليومية والمفاهيم الإيمانية.

ويعني ذلك أن تقديم الرسالة الدينية لأطفالنا يجب أن يبتعد عن أسلوب التلقين التقليدي الذي يعتمد على تقديم المعلومات دون تفاعل، وهذا استناداً إلى طبيعة التكوين النفسي للأطفال فقط، فما بالنا ونقيض قيم ورسالة الدين يقدمها شياطين الإنس في أبهى صورة؟!

توظيف الصورة:

على سبيل المثال، إذا مزجنا بين الألعاب التعليمية والتطبيقات الإلكترونية، وتعليم الأطفال الوضوء أو الصلاة بطريقة مشوقة؛ سيصبح توظيف الصورة في الاتجاه الصحيح لتكوينهم الإيماني، وهنا يمكن الاستفادة من وسائل الإعلام المعاصرة مثل الرسوم المتحركة أو القصص المصورة.

وإضافة لذلك، يمكن تعزيز القيم الدينية من خلال تدريب الأطفال على مجموعة من الأنشطة الحياتية اليومية، التي تعطي محاكاة لأنشطة واقعية يشاهدونها

في حياة آبائهم وأمهاتهم، ومثال ذلك خروج الأب أو الأم مع الطفل للاشتراك في عمل خيري بسيط، كإعطاء المال لبعض الفقراء، وترديد الحديث النبوي الشريف: «ما نقص مالٌ من صدقة» (رواه مسلم) على مسامع هذا الطفل.

وفق هذا المزج تتحول الصورة والقصة والتفاعلية أدوات موظفة بالكامل في خدمة الرسالة الدينية، وهو عين ما يراه الأطفال جذاباً وممتعاً، بخلاف أسلوب التلقين التقليدي الثقيل على نفس الكبار فضلاً عن الصغار.

ومن هذا المنطلق، تعد أنشطة الأسرة المحور الأساسي في تنشئة الطفل دينيًا، إذ هي البيئة الأولى التي يتعرض فيها للقيم، فإذا رأى الطفل والديه ملتزمين بأداء الصلاة ويشجعانه على ذلك بأسلوب قصصي تفاعلي، سيشعر الطفل بالانتماء للدين من منطلق كونه بهجة الحياة وزينتها، على النحو الوارد في الحديث النبوي: «أرحنا بها يا بلال» (رواه أبو داود).

أما المؤسسات التعليمية، سواء كانت مدارس أو مراكز تعليمية، فلها دور مكمل ومهم، إذ يجب أن تتبنى مناهج تعليمية تجمع بين التعليم الأكاديمي والتربوي، وتضمن أن تكون المفاهيم الدينية جزءًا من التعليم اليومي وليس مجرد دروس منفصلة.

وهنا يعد توظيف وسائل الألعاب والرسوم المتحركة والمسابقات والرحلات داخل المدارس وسيلة فعالة للتحفيز على فهم وحفظ سور من القرآن الكريم أو بعض الأحاديث النبوية؛ ما يعزز ارتباط الأطفال بالدين باعتباره أساس تكوينهم وليس باعتباره واجباً عليهم قضاؤه.

إن التحديات التي تواجه الأطفال في عصرنا تستوجب التفكير في حلول مبتكرة لتعزيز الخطاب الديني الموجه لهم، خاصة في ظل التحديات التي تشمل التعرض

المفرط لوسائل الإعلام العالمية، التي تروج أغلبها لمفاهيم تتعارض مع قيم الإسلام.

ولتجاوز هذه المشكلة، يبرز دور الوالدين في تحديد المحتوى الذي يتعرض له الطفل، مع مسؤولية تضامنية لمؤسسات المحتوى الهادف عن توفير محتوى ديني مناسب يستهدف الأطفال، عبر تطبيقات مثل «Muslim Kids TV»، وغيرها من التطبيقات التي تقدم محتوى يجمع بين التعليم والترفيه.

وإضافة لذلك، بات لزاماً على المؤسسات التعليمية في بلداننا تبني مناهج دينية شاملة تتوافق مع التطور التكنولوجي، بحيث يتم استخدام الوسائل الحديثة مثل تطبيقات الواقع الافتراضي التي تساعد الأطفال على تجربة شعائر مثل الحج أو العمرة بشكل تفاعلي؛ مما يعزز الفهم العميق لهذه الشعائر.

لقد بات تجديد الخطاب الديني للأطفال ضرورة، ليس فقط بمجرد تحديث اللغة، بل بعملية تطوير شامل يستند إلى فهم عميق لحاجات الطفل المعرفية والنفسية، ويحرص على أن يكون الدين جزءًا طبيعيًا من حياة الطفل اليومية، من خلال تعزيز العلاقة بين تعاليم القرآن الكريم والتجارب الحياتية.

غير أن إعداد خطاب ديني ناجح للأطفال يتطلب مشاركة جميع الجهات، بدءًا من الأسرة التي تعتبر العامل الأول في نقل القيم الدينية، مرورًا بالمؤسسات التعليمية التي يجب أن توفر المناهج التربوية المناسبة، وصولًا إلى وسائل الإعلام التي يجب أن تقدم محتوى جذابًا ومفيدًا يعزز من الفهم الصحيح للدين، وعليه فإن الأمر يتطلب تدخلاً على مستوى الدول، فمن ينهض ويحمل الأمانة في ثوبها الجديد؟

الشباب.. والخطاب الديني المعاصر

د. محمد أحمد عزب

أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي تجتاح العالم كله، وأصبح الشباب على صلة دائمة بتلك الوسائل، وعنصراً مستهدفاً لها، وركناً من أهم الأركان التي يقوم عليها خطابها، وأصبحت هذه الوسائل تمارس دوراً مهماً في تشكيل الهويات وتغيير القناعات، وهذه الوسائل ليست وليدة البيئة المسلمة، ولا هي من أوجدتها، فلذا أصبحت أداة مهمة بيد من يتحكم فيها، وقد أصبحت تقرأ أفكار الأشخاص من خلال تحليل اهتماماتهم، وتقدم لهم ما تتصور أن هذا يوافق شخصيتهم.

في حين، يجد الشباب أحياناً في الخطاب الديني تطلعاً مهماً لتلبية الفراغ الروحي وبنائه، فقد يوفر لهم إجابات عن تساؤلاتهم الوجودية، لكن في الوقت ذاته، يتعرض الشباب لتعدد المصادر الدينية؛ مما يجعلهم مرتبكين وغير قادرين على تمييز الصحيح من الخطأ، وآخرون قد يشعرون بأن الخطاب الديني معوقاً، يقيد حريتهم أو يتعارض مع تطلعاتهم.

ومن هنا، ينقسم الشباب حيال الخطاب الديني إما إلى رفضه بالكلية لما يرونه معوقاً لتطلعاتهم، وإما إلى قبوله باجتهادهم الشخصي، أو بالتلقي عن غير متخصص، فتحدث أزمة كبيرة بين ما يسمعه وما يشاهده، ويعايشه واقعاً.

فمفاهيم كالنصر التي يصدرها غير المختصين من الدعاة تصطدم مع الواقع، حيث يقدمون فكرة ناقصة أو زائفة عن النصر، فتخالف الفكرة الواقع، فتكون النتيجة إما رفضاً للخطاب بالكلية، أو قبوله بهذا الشكل الناقص الذي يصطدم بسؤال من

أحد العوام لا يستطيع مقدم الصورة الناقصة للنصر الجواب عنه؛ كأن يقول له: أين النصر هناك فيما صورته هنا عن مفهومه؟

ومسألة كمكانة الصحابة كإحدى المسائل والمفاهيم التي يغلفها الدعاة بسياج يصطدم مع أسئلة تثور في أذهان الشباب؛ حيث يقدم لهم الصحابة بصورة ملائكية، تجعلهم في حيرة من أسئلة ذهنية لازمة، فإذا كانوا بهذه الملائكية، فلم تقاتلوا وتخاصموا فيما بينهم؟!

بل إن مفاهيم مهمة تختص بالأحوال والمقامات قدمت للشباب بصورة تقتل فيهم الإبداع، وتدعوهم للانهزامية، وتؤسس فيهم الإرجاء والتخاذل، يقول ماجد الكيلاني: «انقلب معنى التوكل فصار تبريراً للارتجالية، والفوضى وعدم الإعداد وإضاعة الوقت والمقدرات، بعد أن كان ثباتاً وإصراراً، بعد استكمال الاستعداد والتخطيط.

وانقلب معنى التسليم للمشيئة الإلهية، فصار تبريراً للتراخي وعدم الإنجاز، بعد أن كان تصميماً على مواجهة المصاعب واستهانة بكافة العقبات ما عدا مشيئة الله»[1].

وفي الوقت ذاته، ضيَّق بعض الدعاة مفهوم العمل الصالح، وحصره في المجالات الدينية، رغم تأكيد الشريعة على اتساعه، بل ووجود الأمثلة العملية على هذا التأكيد كما في قصة التي سقت الكلب، أو في مشورة من اقترح حفر الخندق، وأشار بتغيير منزل الحرب في «بدر»، أو في فعل من خذّل الأعداء في يوم «الأحزاب»، فالعمل الصالح يتسع ليشمل العمل القضائي، والعسكري، والاجتماعي، والتعليمي.

يقول الكيلاني: «العمل الصالح هو الترجمة العملية والتطبيق الكامل للعلاقات التي حددتها فلسفة التربية الإسلامية، بين إنسان التربية الإسلامية من ناحية، وكل من

(١) أهداف التربية الإسلامية، ص ١٦٩.

الخالق والكون، والإنسان والحياة، والآخرة من ناحية أخرى»[1]، فهو مفهوم متسع لا يجوز معه أن يرسخ الدعاة أو يسوِّغوا للمرء ترك تعلم الطب، ويتعلم الفقه، بحجة أن الفقه أقرب إلى الله وأجزل في المثوبة.

واجبات مهمة:

يجب أن يكون الخطاب الديني باللغة الأقرب لفهم الشباب، يركز على تقديم المثل العليا في صورتها الواقعية، فإذا تكلم عن الصحابة تكلم عنهم بصورة لا تنزع بشريتهم، أو تجعلهم في رتبة الملائكة أو الأنبياء.

كما ينبغي ألا يؤسس الخطاب لفكرة العبد الأجير الذي ينتظر الجزاء فور انتهاء العمل، كأن يربط الصلاة بسعة الرزق، ثم لا يوضح اتساع مفهوم الرزق، والصلاة المطلوبة التي تستلزمه، أو أن يقول: من فعل كذا حدث له كذا، ومن قام بكذا وجد كذا.

فالعبادة قائمة في الأساس على التسليم المطلق لله، وابتغاء الأجر في الآخرة، والعبادة فاعليتها في جزائها الأخروي، لا في جزائها الحالي في الدار العاجلة.

ينبغي أن يرسخ الخطاب الديني مسألة أسئلة المصير الثلاثة، من أين؟ ولماذا؟ وإلى أين؟ وهي الأسئلة التي حارت فيها الفلسفات الغربية التي تسيطر على وجدان المجتمع الغربي الذي يسعي لعملية تحويل للفطر البشرية باسم الحريات والحقوق الثابتة.

كما ينبغي أن يوسع مفهوم السُّنة، التي هي الرحمة واللين، والمروءة، والكرم، والجسارة، والحياء، والرفق، واللين، والصلة، والإكرام، والعطف، ولا تُقدم السُّنة فقط على أنها مجموعة من الأفعال في الهدي الظاهر، ويقف عندها فقط، ويحاجج

(١) المرجع السابق، ص ٤٤.

حول أهميتها، وحكم الصلاة خلف تاركها، فهذا من الجهد الضائع الذي يقع فيه كثير من الدعاة في الخطاب الديني، الذي يستهلك الجهد ولا تترتب عليه فائدة.

يجب أن يكون الخطاب الديني معاصراً ومناسباً لواقع الشباب، فيقدم لهم الدعم النفسي والروحي، ويساعدهم على التعامل مع التحديات التي تواجههم في مدارج الحياة.

ينبغي أن يكون الخطاب الديني مبنياً على الحوار والتفاعل مع الشباب، والشعور بهم، والترحيب بالنافع المفيد من أفكارهم.

من هنا يمكن أن نقول: إن عملية التزييف والتسطيح لعقول الشباب وفناء أعمارهم في التيه، هو تقهقر للغة الخطاب الديني أو ضعفه، أو عدم وعي القائمين به، أو إغراقهم في وعود عاجلة لتدين ربما تتخلف عن قريب نتائجه، فتكون جناية الخطاب على الشباب أشد من جناية الوسائل التي تحاول تحييده دينياً أو تحويله بالكلية عن الدين.

أدوار لازمة:

الشباب هو حلقة من حلقات المجتمع الواسعة، ولا يمكن أن تترك عملية تشكيل وعيه الديني لفئة الدعاة القاصرين، بل لا بد من دور للأسرة في الإرشاد إلى النافع المطلوب، وألا تمارس الأسرة هذا الدور بفوقية وقسوة تجعله مرفوضاً لدى الشباب.

ينبغي أن نشير إلى دور المؤسسات الدينية، التي يجب أن تطرق الأبواب على الشباب، ولا تأخذ بقول من يثبطها بحجة أن المريض يذهب للطبيب، ولا يذهب الطبيب للمريض، فدور المؤسسات هو طرق الأبواب على الشباب والدخول عليهم

من كل نافذة، إذ تملك المؤسسات الدينة الراسخة في الأمة الصورة الأقرب للحق، والأولى بالانتهاج.

كما ينبغي أن تقوم المؤسسات التعليمية بعملية تهذيب التدين، وترشيده في ذهن الشباب ولو من خلال معلميها إذا عجزت المناهج.

من المهم، في النهاية، أن تكون هذه الأدوار تمارس المطلوب منها بأناة وعقلانية في الخطاب والتوجيه والتحذير والتحفيز والنقد والرفض والقبول، فطبيعة الشباب رفض الخطاب القائم على غير العقل، المتخذ من الإلزام منهجاً، أو من التحجير على القول طريقاً.

الإعلام الديني.. بين أزمة الخطاب وخطاب الأزمة

د. سلامة عبد القوي

الأصل في مفهوم الخطاب الديني كجزء من النظرية الإعلامية أنه جاء لحل أزمات تتعلق بحق الإنسان في علاقته بربه؛ كحفظ الدين، وحق الإنسان في ممارسة حياته الطبيعية وعدم الاعتداء عليه، وكذلك عدم اعتدائه على الآخرين؛ وهذا هو حفظ النفس، وعدم الاعتداء على عقله؛ وهذا حفظ العقل.

أما في حق حفظ المال فـعدم اعتدائه على أموال الآخرين، وعدم اعتداء الآخرين على أمواله، وكذلك حفظ النسل بتنظيم العلاقة بين الرجال والنساء في إطار الشرع، وهذا فيما يتعلق بالكليات الخمس.

في حوارنا مع د. سلامة عبد القوي، مستشار وزير الأوقاف المصري الأسبق لشؤون الإعلام، طوفنا حول هذا الموضوع.

هل الخطاب الديني يصنع أزمة؟

– الواقع أن الخطاب الديني من هذه الأمور لا يصنع أزمة، أما واقعياً فإنه أحيانًا وفي كثير من الأحاديث والبرامج الدينية والخطابات الموجهة المنتمية إلى خلفية شرعية معينة يمكن لها أن تصنع أزمة، بل وأزمة كبيرة جدًا؛ فعلى سبيل المثال فيما يتعلق بإسقاط أو تطبيق الكليات الخمس على الواقع، فإن الشرع عندما ضمن للناس حفظ هذه الحقوق الخمسة جعل لها آليات نسميها في الشريعة الإسلامية «الحدود»، ويمكن تسميتها في مجتمعات أخرى بالقوانين التي تضبط علاقة الإنسان مع ربه وعلاقته مع الآخرين.

وهنا نرى أن البعض يصدر فكرة الحدود تصديراً خاطئاً، وهذا يصنع أزمة، وغالبًا ما تتفاقم للأسف، ويتسبب ذلك في تشكيل وتكوين فهم لدى الناس أن الشريعة الإسلامية جاءت لتقطيع الأيادي ولتقتل ولتحد من حريات الناس اليومية فيما يتعلق بعلاقة الرجال بالنساء وشرب الخمر وما شابه ذلك.

ومن هنا نجد أن التصدير الخاطئ أوقع الخطاب الديني كله في صنع أزمة كبيرة جدًا، فالأصل والأولى أن يتم تصديره بشكل منطقي معتدل؛ لأن إقامة الحدود مسؤولية الحاكم وليست مسؤولية الأفراد؛ وبالتالي فنحن في مراحل تكوين المجتمع والأصل فيه أن يتمتع المواطن فيه بكامل حريته، ولا يُعتدى فيه على أي حق من حقوقه الشخصية أو النفسية أو المادية وغيرها.

هل الخطاب الديني بحاجة إلى تجديد؟

- طبعاً، كل شيء في الدنيا يحتاج إلى تجديد، ومصطلح التجديد يجب أن ينضبط؛ لأنه إذا انفلت يسوء الدنيا كلها، ولذلك هناك فارق كبير بين التجديد والتغيير، فالخطاب الديني يحتاج إلى تجديد نعم، كما يريد الإنسان أن يجدد ملابسه وسيارته، ومفهومه لمصطلح علمي معين يتطور بحسب آليات الزمان والمكان إلى آخره، ومن هنا فالخطاب الديني شأنه شأن أي خطاب، ولكن فيما يتعلق بالفروع لا الأصول، حسب مقتضيات كل زمان ومكان وكل واقع.

فمن عظمة الشريعة الإسلامية أنها تتناسب مع كل زمان ومكان، ومع كل الأشخاص أينما كانوا، لذلك تبقى الأصول ثابتة، بينما التجديد في الفروع فقط المتعلقة بالتطبيق العملي الميداني.

لماذا تغيب مقاصدية الخطاب الديني عند بعض المشتغلين به؟

- في الحقيقة السؤال عبقري جدًا، ولا بد من القول: إن الخطاب الديني لا بد أن يكون له أهداف؛ أي مقاصد، فإذا غاب المقصد عن المشتغلين بالمجال الدعوي الديني يتوهون، فلنتخيل مثلًا أنه عند خروجك من المنزل مرتدياً أي زي تجده دون معرفة أين تذهب! فلو سألك أحدهم: أين تذهب؟ فلن يجد عندك إجابة؛ لأنه من الأصل أنت لا تعرف وجهتك كي تجيب عن أحد، فتظل طوال اليوم من شارع إلى آخر ما يهلك البدن ويضيع الوقت وربما نفقات كثيرة بلا أي نتيجة!

بينما قد نرى شخصاً آخر أعد خطته قبل خروجه من منزله؛ فحدد المكان والوجهة التي سيذهب إليها، مرتدياً الزي اللائق بها، مستعداً نفسياً، مرتباً مواعيده، وما الذي سيقوله، وكم مدة بقائه هناك، وغير ذلك، فكل هذه الأمور تضبط مع الشخص عملية تحقيق أهدافه.

فإذا لم تكن هناك مقاصد أو أهداف للخطاب الديني عند بعض العاملين في الساحة الدينية يحدث شطط وانحراف عن الهدف، وأظن أن الواقع الذي نعيشه مرير جدًا في هذا الجانب، فهناك أناس كثر غابت المقاصدية عندهم؛ وبالتالي انحرفت اتجاهاتهم الفكرية، وانحرف الأفراد التابعون لهم، ومن هنا كان العلماء القدامى يضعون علم المقاصد لهدف ضبط تطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الناس؛ يعني ضبط الخطاب الديني.

هل تتوافق مع مصطلح الإعلام الديني، أم تراه تأطيراً وقولبة؟

- لدينا في الشريعة الإسلامية نقول: إنه «لا مشاحة في المصطلحات»؛ يعني لا نهتم كثيراً بالمصطلح، ومنه مثلًا إعلام ديني وجريدة دينية وقناة دينية والملحق

الديني للجريدة الفلانية، فلا مشكلة في المصطلح، أما ما يهمنا هنا هو المدلول الشرعي والديني لهذا الأمر، فأنا لا أرى أنه يعتبر تأطيرًا أن يكون لدينا إعلام ديني ممثل في قنوات وصحف وشيوخ ورموز دينية ومؤتمرات علمية، وهذا حتى وإن كان يعتبره البعض قولبة أو تأطيراً فما المانع؟ وما الضير في هذا؟ فأنا أتوافق مع فكرة ومصطلح الإعلام الديني، وهذا لأنه يحقق أهداف الخطاب ومقاصدية الخطاب الديني ولا ينفصل عن فكرة الاندماج في المجتمع، فلا مانع من وجود إعلام ديني وإعلام رياضي وإعلام فني وثقافي، وفي المجمل كله مندمج مع بعضه، وكل له جمهوره وأهدافه.

ما ضوابط الإعلام الديني ومحدداته؟

– إذا اتفقنا أنه لا مانع من إقامة مصطلح الإعلام الديني، فلا بد أن يكون له ضوابط، ومنها أولًا ألا يتصدى لهذا الأمر إلا المختصون أصحاب العلم الشرعي المتخصصون في العلم الشرعي؛ كالمؤسسات الدينية العملاقة في مصر مثلاً الأزهر الشريف ومؤسساته كجامعة الأزهر والمعاهد الملحقة بها، أو جامعة الزيتونة مثلاً في تونس، أو غيرها في دولنا العربية الإسلامية.

هذه الضوابط توضع في ضوء الأهداف، فما الذي يجب أن يحققه الإعلام الديني من أهداف؟ ما المحددات التي يجب أن ينضبط بها؟ فمثلاً نحن لدينا في مجتمعاتنا مسيحيون ويهود يعيشون معنا، أو ملحدون أو بوذيون حتى، فلا بد من مساحة تعايش تضبطها المحددات والاندماج مع المسلمين الموجودين في غير مجتمعاتنا كالمقيمين في أمريكا وكندا وأوروبا، فيجب أيضًا أن يكون ذلك ضمن المحددات التي تُراعى من الإعلام الديني.

الصورة الذهنية للرموز الدينية، لماذا نؤتى من هذا الطريق؟

- في الحقيقة، ساهم الإعلام وتحديداً أفلام السينما القديمة بكل أطيافها وأشكالها ومؤسساتها، لسنوات طويلة، وما زال، على تشويه الرموز الدينية وخاصة التابعة للأزهر الشريف في وقت لم يجرؤ فيه أحد على تشوية الرموز الدينية الأخرى كالقساوسة مثلاً، لم نرَ أحدًا أو عملاً تجرأ على السمت المسيحي بأي شكل من الأشكال، ولا نرضى بذلك، لكن نجد في الأفلام القديمة وكذلك الحديثة وأسماء بعينها ساهمت بصورة كبيرة في تشويه الصورة الذهنية؛ فحولت وقار المشايخ إلى مشايخ الفتة، وأهم ما يريده ملء بطنه! أو رجل سحر وأعمال وشعوذة أو ما شاب ذلك! فأصبح مفهوم الشيخ ينحصر عند العامة من الناس على تلك المعاني فقط، وهذا يسيء بشكل كبير جدًا إلى الرموز الدينية؛ ومن ثم الخطاب الديني بعد ذلك.

ومن هنا نجد أن المحددات والضوابط لا بد أن يضعها المجتمع أولاً، ثم المؤسسات الأخرى وخاصة الإعلامية لتحسين الصورة عند العامة، فهذه ليست مسؤولية المشايخ ولا المؤسسات الدينية وحدها، إنما كافة المؤسسات الإعلامية بكل أطيافها وأشكالها وكذلك الحكومات.

مسؤولية المشايخ في هذا الأمر قد تكون في دور المؤسسات الدينية من الداخل كالأزهر والأوقاف والإفتاء بضبط حركة وظهور أبنائها إعلاميًا كمسائل الزي الأزهري الجميل اللائق، وأن يتخاطب ويتحدث إلى الناس بلغة يفهمونها إلى غير ذلك، ويجب أن نؤكد أن الصوة الذهنية الآن اختلفت عن أربعين أو خمسين سنة مضت، فالحمد لله السنوات الأخيرة تغيرت إلى حد ما الصورة الذهنية للمشايخ وخاصة مشايخ الأزهر.

الموضوع في الحقيقة مهم جداً وغاية في الأهمية مسألة الخطاب الديني، ومسألة متى يصنع أزمة، ومتى يحل أزمة، وأشكركم في مجلة «المجتمع» على إتاحة الفرصة للتعبير عن رأيي في هذا الموضوع، وهو من الأهمية بمكان، فأرجو أن تخصصوا له مساحات أكبر، وأيضاً أن تولوه اهتماماً كبيراً، باعتبار أن الفترة التي نتواجد بها وكذلك المقبلين عليها ستشهد زخمًا إعلاميًا وحضورًا دينيًا كبيرًا، ولا بد أن ينضبط الخطاب الديني حتى يتناسب مع جميع الأمكنة والأزمنة والأشخاص والتعايش مع الآخرين.

التنمية البشرية كمدخل للخطاب الديني.. المزايا والعيوب

خالد محمد علي

نجح عدد من الدعاة في الفترة الأخيرة في تقديم خطاب ديني يستند إلى أسس التنمية البشرية، التي تتعرف على مشكلات النفس والشخصية الإنسانية، وتضع لها وصفات علاجية تجمع بين ما جاءت به العلوم الشرعية، وما أيدته العلوم الحديثة في العصر الحالي.

ولأن هذا الخطاب كان خطابًا علميًا ناجحًا؛ فقد سهل ذلك على الدعاة الجدد الدارسين للتنمية البشرية في الوصول إلى الطبقات العليا من المجتمع التي كانت خارج نطاق تأثير الخطاب الديني.

وكان لافتاً أن الدعاة الذين يقدمون خطابًا دينيًا ذا محتوى لعلوم التنمية البشرية أصبحوا هم نجوم الحركة الدعوية الإسلامية، والأكثر تأثيرًا فيها؛ لأنهم واكبوا العصر، وخاطبوا أفراد المجتمع وخاصة الشباب منهم بلغة تربط بين اتباع التعاليم الإسلامية وتحقيق النجاح في المجتمع؛ لأنها تضع لهم وساطات حول كيفية النجاح، والتخلص من الفشل والكسل وطرد الأوهام والعجز وصناعة الأمل.

وشهدت الساحة الدعوية نجوماً كثراً في هذا المجال، لعل من أبرزهم الداعية طارق سويدان، ود. إبراهيم الفقي، الذي اختتم حياته بالجمع بين ما هو دعوي وتنمية بشرية واكتسب أنصارًا كثراً في العالمين العربي والإسلامي.

وهو ما يدفعنا إلى الحديث حول أهمية التنمية البشرية ودورها المؤثر في

الخطاب الديني، وعدم التخلي عن هذا الترابط الذي أنتجته عقول دعوية إسلامية على الرغم من تنبه مراكز علمية غربية وقوى علمانية داخلية لمدى تأثير هذا الخطاب ومحاربته والتسفيه منه، والتضييق عليه، وهو ما أدى إلى انحصاره في الفترة الحالية.

وتهدف التنمية البشرية إلى كل ما من شأنه الارتقاء بوضع الإنسان؛ فردًا ومجتمعًا، لأن ذلك هو الهدف الأساسي للتنمية البشرية الذي يستعين بأدواته لتحقيق تلك الأهداف من علوم الطب النفسي، والاجتماع، والفلسفة والمنطق، وبعض النظريات السياسة، وهو يصبح ناقصًا ومعيبًا في الخطاب الديني إذا ما كانت المفردات والمصطلحات الغربية هي المسيطرة بدلًا من النصوص الدينية والقرآنية.

إشكالية التنمية البشرية في الخطاب الديني:

ودون الخوض في تعريفات كثيرة للتنمية البشرية، والخلافات حولها، فإن التنمية البشرية هي منتج بشري غربي يشبه تمامًا الكمبيوتر والذكاء الاصطناعي، ووسائل الاتصال الحديثة، والأجهزة الطبية، والأدوية التي أنتجها العقل الأوروبي، ويحتاجها عالمنا الإسلامي ونستخدمها في الحفاظ على الإنسان أو الارتقاء به، فيصبح الفيصل دائمًا في كيفية استخدام هذه المنتجات الغربية بطريقة تتوافق مع أهداف الإسلام العليا، التي في أساسها السمو بالإنسان، والارتقاء به عقليًا وأخلاقيا ووضعه في المربعات التي طالبت بها النصوص القرآنية دائمًا وهي التدبر والتفكر والرحمة والتسامح والعدل والمساواة.

وتستخدم التنمية البشرية في الخطاب الديني بعدما نجحت بشكل مذهل في الخطاب التبشيري ودعاة المسيحية الذين استخدموا جميع هذه الوسائل من تنمية بشرية وعلوم الاتصال الحديثة التفاعلية، وكل منتجات الذكاء الاصطناعي الحديثة،

وهو ما يطرح سؤالًا للرافضين لاستخدامات علوم التنمية البشرية في الخطاب الديني: كيف ينجح الخطاب الديني في الوصول إلى فئات الشباب التي تشكل أكثر من ٦٠٪ من المجتمعات العربية والإسلامية، وهي تنفق معظم وقتها في استخدام تلك المنتجات الحديثة؟

وهل يفيد الإسلام ترك هذا العدد الكبير من الصبية والشباب يستمتعون على وسائل التواصل الاجتماعي بأداء دعاة التبشير المبهر باستخداماتهم التنمية البشرية وعلوم الاتصال الحديثة بحجة أن هذا منتج علماني معادٍ يؤثر على مضمون الدين؟ أم أن العقل الإسلامي عليه دائمًا أن يبدع ضوابط جديدة لاستخدامات كل المنتجات الحديثة التي تنتجها مراكز العقول والبحث في أوروبا بحيث يتم في النهاية تطويعها لخدمة الخطاب الديني الإسلامي وتأثيره وتحقيق أهدافه؟

ويبدو أن الفيصل الأساسي في هذا الأمر هو في كادر الدعاة الذين يتصدون للخطاب الديني، ويستخدمون علوم التنمية البشرية كمؤثرات على الشباب، عليهم التدرب جيدًا على تغليب لغة الخطاب الديني على مصطلحات التنمية البشرية والتدليل بالنصوص الدينية والاستناد إليها كحقائق مطلقة للنجاح والسعادة، مع استخدام تلك القوالب المعروفة في التنمية البشرية، إضافة إلى الحذر من تسييد مفاهيم غربية كالتي تركز على الحرية المطلقة، أو حرية الجسد، أو حرية العقيدة وخلافها.

مزايا التنمية البشرية في الخطاب الديني:

وعلى الرغم من الإشكاليات السابق الإشارة إليها، لا يمكن للباحث أن يغفل أن هناك مزايا يمكن الاستفادة منها في استخدامات التنمية البشرية في الخطاب الديني،

يمكن إبرازها في الآتي:

- تساهم في تحسين المهارات الاجتماعية مثل التواصل الفعّال، التعاون، والقيادة؛ مما يعزز التفاعل الإيجابي بين المسلمين، وخلق خطاب أقرب لنفوس الشباب المنصرف إلى الثقافة الغربية.

- الخطاب الديني الذي يستفيد من التنمية البشرية يشجع المسلمين على تحمل المسؤولية تجاه أنفسهم ومجتمعهم، والعمل على تحسين الظروف المحيطة بهم، كما يدفعهم إلى الإتقان في العمل والسعي للإحسان في كل المجالات الحياتية.

- الاستخدام الديني للتنمية البشرية يساعد على وضع ضوابط شرعية لها؛ مما يساهم في عدم الانحراف عن القيم الدينية، والسير وفق ضوابطها.

عيوب التنمية البشرية في الخطاب الديني:

ويمكن إجمالًا، الإشارة إلى عيوب استخدامات علوم التنمية البشرية في الخطاب الديني، في التالي:

- المصطلحات العلمانية يتم استخدامها مع إضفاء طابع شرعي عليها دون توضيح دقيق لمحتواها وتوافقها مع الشريعة الإسلامية.

- بعض الحقائق والمفاهيم الشرعية يتم تجاهلها أو معارضتها بمفاهيم حداثية، مثل عقوبة المرتد والاختلاط والفن وحرية المرأة وتحرير العقل.

- عدم الاستناد إلى الأسس والمفاهيم الشرعية، واستبدال مفاهيم مجتمعية وإنسانية بها، مثل؛ ثوابت المجتمع، وعادات المجتمع، وأخلاق المجتمع، وقيم المجتمع؛ ما يؤدي إلى إضعاف هوية الدين، والقيم الإسلامية.

- استخدام مصطلحات ضبابية غير محددة مثل قبول الآخر، والتسامح،

والانفتاح، يشكل خطرًا على الخطاب الديني؛ لأنه يتهرب من التعليمات والنصوص الحاسمة في الإسلام التي تضبط العلاقات بين الجنسين، وتعتمد على الثواب والعقاب كمنهج لتقويم المجتمع.

- التأثير الواضح لمفاهيم الثقافة الغربية على التنمية البشرية وتركيزها على الفرد باعتباره محور هذه الثقافة بدلاً من المجتمع؛ وهو ما يعزز النزعات الذاتية على حساب الولاء للجماعة الإسلامية.

- الإعجاب والانبهار بالشخصيات والأفكار الغربية، مما يحول هذه الشخصيات إلى نماذج يقتضى بها بدلًا من الرموز الإسلامية التي تشكل نموذجًا للمسلمين على مر العصور، وهو ما يضعف هوية المجتمع الإسلامية بشكل عام.

الدعاة و«الميديا».. ما يطلبه المستمعون

مروة عبده

شهد العقد الأخير من القرن الماضي تحولات ضخمة في مجال الاتصال وتكنولوجيا وسائل الإعلام؛ مما مهد الطريق نحو ظهور تجليات عدة للتفاعل المباشر والمستمر فيما بين عناصر العمليات الاتصالية المختلفة، وجعل انتقال المعلومات والبيانات أيسر وأسرع من أي وقت مضى.

وقد بدا للوهلة الأولى بأن تلك الثورة التكنولوجية الضخمة أداة فاعلة وقوية في مجال الدعوة الإسلامية، إذ يمكن عبر توظيفها نشر القيم الإسلامية السمحاء وتوعية المسلمين بدينهم وتصحيح المفاهيم وإجلاء الحقائق وبث الوعظ بطرق جديدة تضمن التفاعل والتواصل فيما بين الداعية والجمهور، وتفتح آفاق الفهم والعمق على مصراعيهما.

وقد أنتجت تلك الثورة التكنولوجية ظاهرة «الدعاة الجُدد»؛ إذ مثلت شاشات الفضائيات ساحة رئيسة لتقديم دعوة إسلامية بروح عصرية وطرق مستحدثة كُلياً، فتميز هؤلاء الدعاة الجُدد بعدد من الخصائص التي عكست مدى اختلافهم عن الدعاة الكلاسيكيين، فمن حيث المظهر والزي اختار هؤلاء الدعاة مظهراً عصرياً شبابياً بعيداً عن الشكل التقليدي للداعية المُعمم، واستخدموا لغة سهلة وبسيطة لبث محتواهم الدعوي لأكبر عدد ممكن من الناس بعيداً عن المصطلحات المتخصصة والمفاهيم المُعقدة، وجمع هؤلاء فيما بين الخطاب الإسلامي التقليدي وخطاب التنمية البشرية

الذي يحض على العمل والتفاؤل والإقبال على الحياة والرقائق وفضائل الأخلاق، وحظوا نتيجة لذلك بشهرة واسعة جعلت منهم نجوم مجتمع، فلم يعد الداعية عالماً زاهداً يخاطب الناس من برجه العاجي ومكانته العالية وهيبته الطاغية، بل هو واحد من هؤلاء الناس من نفس فئتهم العمرية ويرتدي رداءهم ويتحدث بلغتهم.

فهل كان ذلك نصراً للدعوة الإسلامية؟

إن الإجابة عن ذلك التساؤل تستدعي التعمق أكثر بشأن تاريخ الخطاب الإسلامي والعلاقة فيما بين الدعاة والفقهاء من ناحية، وجمهور المسلمين من ناحية أخرى، إذ فرضت طبيعة العصور ما قبل التكنولوجية الحديثة على الفقهاء والدعاة أدوات غير ذات انتشار كبير فيما بين عموم المسلمين، فبثوا أفكارهم إما عبر الكتب التي تطلبت إلماماً بالقراءة والكتابة وحسن الثقافة وسعة الاطلاع، أو عبر التواصل المباشر الفردي فيما بين الفقيه والسائل أو المستفتي، وبين الفقيه وطلاب العلم الذين يتتلمذون على يديه.

تلك الظروف جعلت عملية الاتصال فيما بين المسلم العادي والفقيه أقل تفاعلاً وتكرارية، فلم يتوفر الوقت ولا المساحة -مثلما يحدث الآن- لأي إنسان اتفق أن يلتقي بالفقيه بشكل دوري ودائم ليسأل ما يحلو له من الأسئلة، ولم يتلق الفقهاء ردود الفعل حول آرائهم وفتاواهم بشكل آني، وقد حظوا نتيجة لذلك بالوقت الكافي لبلورة دعوتهم الإسلامية والخوض العلمي المتعمق المتفقه في كافة المسائل والأمور، وأسعفتهم الظروف لصياغة رؤى فقهية وإسهامات دينية في سائر القضايا التي عايشوها في عصورهم.

أما الآن، فالأمر قد اختلف إلى حد بعيد، فالفقيه والداعية في اتصال دائم

ومستمر بجمهوره، وهو في مرمى ردود الفعل الآنية أو اللحظية بفضل وسائل الاتصال الحديثة، فلا يكاد يدلي برأي حتى ينهال عليه وابل من ردود الفعل الغاضبة أو المؤيدة، بما يضع الداعية في حرج من الخوض في المسائل التي قد تغضب الجمهور أو لا تتوافق مع الميول العامة للمتلقين، وإن كانت من صميم الدعوة الإسلامية ومن قضاياها الجوهرية، وأصبح لأي إنسان أن يسأل أي سؤال -أو أسئلة عدة- للفقيه والداعية لكي يجيب عنها، حتى لو كانت لمشكلات أو قضايا تخيلية لم تحدث أو مجرد تساؤلات نظرية تدور في ذهن السائل وحده وليس لها أي أساس من الواقع، وعلى الداعية أن يجيب.

ماذا فعلت «الميديا» بالدعوة؟

إن تطور «الميديا» قد ساهم بدور كبير وفاعل في تطوير الدعوة الإسلامية وتوسيع نطاق انتشارها وتعميق مدى تأثيرها، لكن «الميديا» كأداة لم تكن بذلك القدر من الحياد والموضوعية، فهي لم تكن مجرد وعاء للدعوة، بل تولت «الميديا» أمر الدعوة باعتبارها مهيمناً عليها وموجهاً لها، فـ«الميديا» بالأساس كيان موجه يستهدف فئات معينة ويبث رسائل مؤدلجة تحمل في طياتها أجندة الجهة الإعلامية التي تتبناها وتدير عملية الاتصال بالأساس.

من هنا، فقد طبعت «الميديا» الدعوة بعدد من الصفات التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من طبيعة الدعوة الإسلامية المعاصرة، وأخضعت الدعاة لأجنداتها بتنوعها واختلاف مشاربها، فكل قناة فضائية أو جريدة أو إذاعة تضع أسس الدعوة الإسلامية المبثوثة عبرها طبقاً لما تستهدفه من غايات ومآرب.

تسليع الدعوة:

ولما كانت «الميديا» بالأساس صناعة تجارية تستهدف الربح المادي في المقام الأول، فقد تم تسليع الدعوة لتصبح تجارة، وأصبح الخطاب الديني منتجاً استهلاكياً يتم قولبته طبقاً لمزاج وميول الجمهور المُستهدف، وأصبحت ثقافته المخالفة والمبالغة والاهتمام بقضايا شاذة غير مطروقة وسائل متنوعة لجذب الجمهور وزيادة التفاعل الإعلامي ومن ثم تحقيق المكاسب، ولم تعد الدعوة غاية في نفسها أو رسالة روحانية مطلوبة لذاتها، وإنما وسيلة تجاريه بالأساس.

ومن ناحية ثانية، أثر التطور التكنولوجي الكبير والمتسارع على الدعوة بظهور ثورة المعلومات وفوضى المضمون، فإغراق الجمهور بكم ضخم من المعلومات الدينية والخطابات الدعوية قد عزز تشتت المسلمين عن فهم دينهم نتيجة تنوع وكثافة المحتوى المطروح أمامهم، واختلاف المنابر وكثرة الدعاة ومن ثم ضياع الحقائق وشيوع اللغط، فلم يعد المتلقي قادراً على تمييز السمين من الغث نتيجة فوضى وفائض الخطابات الموجهة إليه.

وقد عزز من تلك الفوضى تصدي كثير من الدعاة إلى توجيه الخطاب الديني دون خلفية علمية حقيقية عبر القنوات الرسمية للتعليم الفقهي والمؤسسات المعترف بها لتخريج الدعاة، حيث غاب التدقيق والتمحيص عن اختيار الدعاة لدى القنوات والإذاعات والمجلات، وأصبح المظهر أهم من المحتوى، فتضاربت المعلومات وكثرت الأغلاط، إذ لم يعد الهدف استجلاء الحقائق بقدر جذب الإعلانات وإثارة الجدل.

وجاءت وسائل التواصل الاجتماعي لتسهم بدور سلبي آخر في الخطاب الدعوي؛ إذ أصبح الخطاب الديني الموجه لجمهور «السوشيال ميديا» ذا خصائص جديدة تتسم بالسطحية والاختصار والاختزال، حيث لم يعد هذا الجمهور يحتمل الخطابات المطولة والشروح الفقهية المتعمقة، بل أصبح المطلوب خطاباً دينياً معلباً ومختصراً ويناقش قضايا بعينها هي التي تهم هذا الجمهور، حيث فُرض على الخطاب الدعوي شكل جديد يلائم منصات التواصل وجمهورها الذي يهتم بالقشور ويسعى للتبسيط المخل الذي لا يجلي حقيقة ولا يعمق فهماً ولا يخلق وعياً.

ولا فكاك من تلك الآثار السلبية التي ألقت بظلالها على الخطاب الدعوي إلا عبر دراسة حقيقية لتلك الآثار لفهم طبيعة وسائل الإعلام المختلفة وتطوير خطاب دعوي جديد يتولى أمره فقهاء متخصصون وعلماء متبحرون يفيدون من وسائل الإعلام والاتصال الحديثة ويتلافون مضارها المتنوعة، مع إحكام الرقابة على المتصدرين للخطاب الدعوي للحيلولة دون فوضى الآراء والفتاوى وإجلاء الحقائق وتعميق الفهم والوعي.

مكانة المنبر في التاريخ الإسلامي

د. مي سمير

إن الوقوف على الدور شديد الخصوصية للمنابر في الإسلام عبر تاريخه الطويل تستلزم ابتداءً فهماً متعمقاً لطبيعة العلاقة الاستثنائية بين الدين الإسلامي والسياسة من ناحية، والمسجد والمجتمع من ناحية أخرى، حيث تأسس المسجد في صدر الإسلام كمؤسسة دينية ثقافية اجتماعية وسياسية تجمع المعاملات والعبادات في فضاء واحد، وذلك انعكاساً لمنصب النبي صلى الله عليه وسلم القائد الذي ضم سلطته الدينية كمرشد ديني بوحي إلهي مع دوره السياسي كقائد للأمة ومدبر لشؤون السياسة والمجتمع والجيش والعلاقات الخارجية.

بهذه العلاقة التي تشكلت في دولة المدينة بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم رئيس الدولة ورسول الأمة، تشكل دور المسجد في التاريخ الإسلامي ليس فقط كفضاء للاجتماع وإدارة شؤون الدولة، بل كمنبر للحشد والإعلان والوعظ والتدبير السياسي والاجتماعي.

والمنبر يمثل خصوصية جزئية مستمدة من خصوصية المسجد الذي شكل لبنة أولية وأساسية في تاريخ دولة الإسلام، إذ تشكل المسجد كأول مؤسسة يتم التعجيل بتشييدها كرمز لتلك الدولة الوليدة وإعلان لما ستكون عليه تلك المؤسسة من محورية طاغية لتعمل على تنظيم وإدارة كافة شؤون المسلمين الدنيوية والأخروية على السواء اعتماداً على قيادة النبي صلى الله عليه وسلم الموحى إليه.

أما المنبر كمنصة لإلقاء الخطب الإسلامية فقد تأخر استحداثه في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم سنوات، ولم يكن لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم منبر في أول الأمر على الرغم من إلقاء النبي صلى الله عليه وسلم لخطب متعددة تنوعت بين خطب الجمعة وخطب أخرى على مدار سنوات في مسجده متكئاً إلى جذع نخله.

فلما تقدم العمر بالنبي صلى الله عليه وسلم أشار عليه بعض الصحابة رأفة به أن يجلس على منصة عالية تتيح له الراحة وتسمح بإبرازه للناس الذي كانوا قد كثر عددهم بدخول مزيد من الناس في الإسلام، ليُصنع أول منبر في الإسلام في العام السابع للهجرة النبوية المشرفة، ويظل ذلك المنبر منارة إسلامية دينية وسياسية تنشر الخطاب الإسلامي بأغراضه المتنوعة إلى الأمة الإسلامية لا يشاركها نظير حتى نهاية عهد عمر بن الخطاب الذي كان قد رفض إقامة منبر بمصر بعد فتحها من جانب عمرو بن العاص، ولم يكن للأمة الإسلامية منبر سوى منبر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الحين.

لكن المنبر قد تحول فيما بعد عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رمز إسلامي مبثوث في كافة البلاد التي يصل المسلمون إليها بالفتوحات، فجرت العادة أن يتم وضع منبر في كافة المساجد الكبرى المنتشرة في سائر أنحاء الدولة الإسلامية، ليتوسع دور المنبر من ساحة لإعلان خطب النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده إلى أدوار دينية وسياسية وإعلامية يتواصل بها ولاة الأمر في كافة أنحاء الدولة الإسلامية مع الأمة.

وتتجلى مكانة المنبر النبوي على وجه التحديد في الإسلام من خلال أحاديث متنوعة وردت في فضله، وأشهرها حديث أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي» (متفق عليه).

منبر واحد.. أدوار متعددة:

ومن فوق منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلت الرسالة الإسلامية السمحاء، وشُرعت قوانين الدولة الإسلامية، ونودي للجهاد في سبيل الله، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم صحابته والتابعين والمسلمين شؤون دينهم ودنياهم، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم بويع خليفته الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه البيعة العامة من فوق منبر النبي صلى الله عليه وسلم، ليصبح المنبر منذ ذاك الحين منصة إعلامية وأداة للإعلان عن الخليفة والحصول على بيعة المسلمين له، فألقى الصديق من على منبر الرسول صلى الله عليه وسلم خطبته الشهيرة: «.. إن أخطأت فقوموني..».

وفي المسجد الأعظم بالكوفة صعد الحجاج بن يوسف الثقفي درجات المنبر ليعلن توطيد دعائم سلطته الجديدة التي اتخذت نهجاً مستبداً يتبنى الدموية والتهديد والوعيد، ولم يكن هناك أفضل من المنبر لإلقاء واحدة من أشهر خطب الحجاج التي أظهرت مدى حاجة أعتى الولاة سلطة وهيمنة للمنبر للتأكيد على تلك السلطة وبث بذور الطاعة في البلاد.

واستخلاصاً من ذلك، فقد استمر المسجد الإسلامي في أداء أدوار أرحب من تلك التي أداها المنبر، فبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانتهاء عهد الخلافة الراشدة ونشوب الفتنة، وظفت المنابر بشكل أكبر في الصراع السياسي وباتت أكثر تقييداً، بينما ظلت المساجد الإسلامية مؤسسات دينية واجتماعية وتعليمية وثقافية

أمدت الدولة الإسلامية بقيادات وكفاءات وعلماء وأدباء ورسخت التآزر الاجتماعي واعتمدت التعبئة العامة للجيوش الإسلامية وأطلت بإشعاع الحضارة والدين الإسلاميين إلى كافة أنحاء العالم.

واليوم تعيش المنابر أزمة عامة منبثقة من تلك الأزمة التي تشهدها المساجد نتيجة تراجع كبير في أدوارها الاجتماعية والسياسية، واقتصارها على الدور الديني كدور للعبادة وساحة للوعظ والتبليغ، بينما تعيش المنابر أزمة خاصة نتيجة رقابة صارمة فرضت عليها سواء نتيجة رغبة ملحة من جانب الأنظمة السياسية لترسيخ صوتها والحيلولة دون سيطرة أصوات معارضة لها على تلك المنابر.

بالإضافة إلى جهود بذلت لتحييد المنابر عن الجماعات المتطرفة التي حاولت استغلال المنابر لبث أفكار مغلوطة عن الإسلام ونشر التطرف والإرهاب والعنف بين شباب المسلمين؛ مما نتج عنه في النهاية تضاؤل كبير في الخطاب الديني على المنابر وتراجع لتأثيره المأمول على الأمة الإسلامية التي فقدت الثقة والاتصال بالمنابر نتيجة غيابها عن مناقشة شؤون المسلمين اليومية والتعاطي معها بشكل فعال.

وأخيراً، فإن تفعيل الأدوار المهمة للمنابر في المجتمع والدولة يتطلب إدراكاً أولياً للمسجد ومكانته الاستثنائية في الإسلام، بالإضافة إلى أهمية الالتفات للخطاب الديني المبثوث فوق المنابر من جانب المؤسسات الدينية الرسمية وما يحيط به من تحديات تتطلب تفاعلاً مؤثراً وخلاقاً يسهم في تطوير طرائق تنزيل الحكم الشرعي على مشكلات وقضايا المجتمع الإسلامي، واجتذاب المسلمين مرة أخرى للمسجد وخاصة النشء باعتباره فضاءً إسلامياً يعزز تنمية بذور المحبة والإخاء والعمل الجماعي فيما بين المسلمين بما يعيد إليه تآزرهم وتعاضدهم الذي مكنهم منذ لحظة

بناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من خلق دولة إسلامية قوية مزدهرة ساهمت بقوة في تاريخ حضارات العالم ولا تزال تحمل أيادي بيضاء على الحضارة الغربية وما وصلت إليه من إنجازات واكتشافات في كافة المجالات.

تطوير المنابر الخطابية

من منبر الجمعة إلى التكنولوجيا المنبرية

د. عمرو نافع

الخطابة إحدى أهم أدوات التواصل عبر التاريخ الإسلامي بين الجمهور والدعاة والفقهاء والمفتين، حيث ارتبطت بشكل مباشر بالمنبر والمسجد الجامع، وخاصة منبر الجمعة، التي لا تزال تؤدي دورًا مهمًا في توجيه المجتمعات المسلمة دينيًا وثقافيًا واجتماعيًا، فمنبر الجمعة كان ولا يزال وسيلة لربط المسلمين بالمسجد الذي ينقل من خلاله تعاليم الدين ويعالج الأمور الفقهية وربما المجتمعية بشكل كبير.

ومن خلال التصور الحديث للعوالم التكنولوجيا، أصبح يمكن الآن الوصول إلى نطاق واسع لما نطلق عليه «التكنولوجيا المنبرية»، وذلك لمرحلة ما قبل الخطبة ومرحلة ما بعد الخطبة للمنابر؛ مما يفتح أفقًا واسعًا أمام شكل جديد للمنابر المعاصرة، وهي استخدام التكنولوجيا في توصيل الرسائل الخطابية والدينية بطرق أكثر تفاعلية وتمكنًا لجمهور المسلمين الواسع.

ويمكن القول: إن المنبر والخطبة بهذا الشكل التقليدي هي الوحيدة الباقية منذ العصر الإسلامي الأول التي لم تطور ولم يحدث لها أي تجديد حتى الآن؛ مما يجعلنا أمام إشكالية كبيرة في البناء المنبري الكبير في العالم الإسلامي بأسره.

أهمية المنبر عبر التاريخ

كانت المشاركة في منبر الجمعة واحدة من أهم المناسبات الأسبوعية التي تتسع لعدد كبير من المسلمين، حيث يستخدم الإمام المنبر لقضايا المجتمع وتفسير التعاليم الإسلامية، وشرح القضايا الشرعية بما يتناسب مع الأحداث وتوجيه الرأي العام أمام التحديات الأخلاقية التي تواجه المجتمع.

وقد خرجت كثير من الأحداث الكبرى من على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان بعضها يوم الجمعة، ومن هنا أصبح المنبر أداة توجيه كبيرة في الأعياد ورمضان ويوم الحج الأكبر، وتتشكل عبرها تغيرات تاريخية حدثت في التاريخ الإسلامي القديم منه والحديث وصولاً للتاريخ المعاصر.

من الخطب التاريخية على سبيل المثال:

١- خطبة الوداع (١٠هـ/ ٦٣٢م):

خطبة الوداع التي ألقاها النبي محمد صلى الله عليه وسلم خلال حجة الوداع تعتبر واحدة من أهم وأشهر الخطب في تاريخ الإسلام، أُلقيت على جبل عرفات أمام مئات الآلاف من المسلمين، وكانت توجيهًا شاملًا للأمة الإسلامية.

٢- خطبة الخليفة أبو بكر الصديق (١١هـ/ ٦٣٢م):

عندما تولى أبو بكر الصديق الخلافة بعد وفاة النبي صلى اله عليه وسلم، ألقى خطبة قصيرة لكنها مؤثرة، ركزت على أهمية القيادة والخدمة، وشدد على تواضعه أمام الله وأمام الأمة.

٣- خطبة عمر بن الخطاب في القدس (١٥هـ/ ٦٣٧م):

عندما دخل الخليفة عمر بن الخطاب إلى القدس بعد فتحها، ألقى خطبة جمعة

في المسجد الأقصى عبرت عن روح التسامح الإسلامي والعدالة.

٤- خطبة الإمام الحسين بن علي في يوم عاشوراء (٦١هـ/ ٦٨٠م):

في كربلاء، قبل استشهاده، ألقى الإمام الحسين بن علي خطبة مؤثرة دعا فيها إلى الحق والعدل وتحدث عن الظلم والفساد.

٥- خطبة صلاح الدين الأيوبي في المسجد الأقصى بعد تحريره (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م):

بعد تحرير القدس من الصليبيين، ألقى صلاح الدين الأيوبي خطبة جمعة في المسجد الأقصى، وكانت خطبته تعبيرًا عن شكر الله على النصر والدعوة للتسامح مع غير المسلمين.

٦- خطبة السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٨٩م):

في عهد الدولة العثمانية، ألقى السلطان عبدالحميد الثاني خطبة جمعة مؤثرة في وقت كانت فيه الدولة تواجه تحديات كبيرة من القوى الأوروبية، خطبته كانت دعوة إلى الوحدة الإسلامية ومواجهة التحديات الاستعمارية.

٧- خطبة الملك فيصل بن عبد العزيز في المسجد الحرام (١٩٧٣م):

في فترة السبعينيات، كانت الدول العربية تواجه العديد من التحديات السياسية والاقتصادية، ومنها الحرب مع «إسرائيل»، ألقى الملك فيصل بن عبدالعزيز خطبة في المسجد الحرام دعا فيها إلى الوحدة بين المسلمين والتحرك ضد العدوان الصهيوني.

تحديات تواجه خطبة الجمعة اليوم:

على الرغم من الأهمية الكبيرة لمنبر الجمعة، فإن هناك تحديات تواجه استخدام المنبر التقليدي اليوم مقارنة بعالم التكنولوجيا الحديثة:

- **الحدود الجغرافية**: فما زال الخط العام لخطبة الجمعة هو النطاق الجغرافي العام المحيط بالمدينة أو القرية أو المنطقة السكنية المراد إقامة الشعائر بها، بالإضافة للعدد الذي بلغ به صحة قيام الجمعة.

- **قصر الوقت**: تكون في الغالب الخطبة قصيرة حيث فيها جلسة استراحة ومقدمة وخاتمة، وبها الدعاء، والدعاء هنا جانب تربوي ونفسي في غاية الأهمية، وبعض الخطباء يكثر من الدعاء في نهاية الخطبة الثانية مما يؤثر في نفوس المصلين لما في الدعاء من راحة نفسية عميقة تتخلل النفس بعد إفراغ جهد الدعاء وربما البكاء أثناء الدعاء.

- **التفاعل المحدود**: يستحيل التفاعل بين الجمهور والخطيب، سوى بترديد «آمين» أثناء الخطبة، وهي الوسيلة الوحيدة لقياس التفاعل، وهي وسيلة تفاعلية تظهر ارتباط الجمهور بالخطبة والخطيب.

أمثلة حديثة لتطوير خطبة الجمعة:

- **تجربة المملكة العربية السعودية**: قامت المملكة بتطوير خطب الجمعة من خلال تنظيمها عبر هيئة رسمية تُعنى بتوحيد موضوع الخطبة على مستوى الدولة، كما تم استخدام التكنولوجيا لبث الخطب عبر الإنترنت للوصول إلى أكبر عدد ممكن من الناس.

- **التجربة التركية**: تم تطوير نظام الخطابة في تركيا عبر إنشاء منصات إلكترونية تحتوي على أرشيف خطب الجمعة، وإتاحة تطبيقات هواتف ذكية تقدم نصوص الخطبة مترجمة إلى عدة لغات.

مقترحات لما يمكن وصفة بالتحول نحو تكنولوجيا المنبر:

بظهور التكنولوجيا الحديثة، تغيرت طرق التواصل بشكل جذري، مما أتاح للإمام قدرات تأثيرية أكثر فعالية في الوصول إلى الجماهير بشكل أوسع، ومن هنا يمكن تعريف «تكنولوجيا المنبرية الحديثة» بأنها وسيلة أكثر للانتشار والتفاعل والتأثير في توصيل الرسائل الخطابية بطرق متعددة، ومن أهمها:

١- البث المباشر عبر الإنترنت:

يمكن اليوم نقل خطب الجمعة وغيرها من المناسبات الدينية عبر الإنترنت؛ مما يسمح للجمهور في جميع أنحاء العالم بمتابعة المشاركة الفورية لحظة بالحظة هذا يتيح:

- توسع نطاق الجمهور حتى ولم يأخذ الثواب المباشر في النطاق الجغرافي المحدد فيها الصلاة.

- المشاركة في العمل الفعلي من خلال كتابة التعليقات.

- التوثيق والأرشفة لخطبة الجمعة والحدث وتاريخ المسجد الذي ألقيت فيه الخطبة.

٢- استخدام الوسائط المتعددة في الخطبة:

يمكن للخطيب اليوم الاستفادة من وسائل بصرية وسمعية متعددة لتوضيح أفكاره وإيصالها بطرق مبتكرة ومفيدة، منها:

- العروض التقديمية: على الشاشات المحيطة في المسجد وداخلة باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي.

- الفيديوهات: المقاطع المبسطة التي تشرح بعض جوانب الخطبة بطريقة الجراف.

٣- التطبيقات الذكية والتفاعل الرقمي:

هناك اليوم العديد من تطبيقات الذكية التي تسهل عملية الاستماع إلى الخطبة، بل وقراءة نصوص الخطبة، أو حتى الاشتراك في مناقشات دينية مع أئمة المسجد سحابياً من خلال هذه التطبيقات:

- الذكاء الاصطناعي في إعداد الخطب وتوثيقها؛ حيث يمكن أن تساهم تقنيات الذكاء الاصطناعي الحديثة في إعداد الخطب بشكل أسرع وأكثر تميزًا، واستدعاء خطب مماثلة عبر التاريخ تخدم الفكرة الهدف وذلك من خلال تحليل الواقع الاجتماعي الذي تلقي فيه الخطبة، وتقديم معلومات دقيقة عن كثير من الأحداث والتفسيرات القديمة ومقارنتها بالتفسيرات الحديثة، وإدراك سيكولوجية التعامل مع جمهور المستمعين.

يعد تطوير خطبة الجمعة ضرورة ملحة في العصر الحديث نظرًا للتغيرات التي يشهدها العالم، فبات واجب الوقت الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة، مع تحديث المضمون وطرق التقديم، يمكن أن يسهم في جعل الخطبة أكثر تأثيرًا وفاعلية في حياة المسلمين اليومية، ومع ذلك، يجب أن يتم هذا التطوير بحذر، وبما يضمن الحفاظ على قدسية الخطبة ودورها المحوري في توجيه المجتمع والعباد.

المنبر.. وأزمة الفراغ الوجودي

مصطفى عاشور

يظن البعض أنه في عالم الرقمية والذكاء الاصطناعي، فإن دور المنبر تراجع، وأن الخطابة والوعظ الإرشاد تضاءلت مكانتها كأدوات في التأثير في الناس، ولكن الحقيقة أن المنبر ما زالت له سلطته وسطوته وقدرته التأثيرية، ولعل من أهم المجالات التي ما زال للمنبر مكانه البارز فيها، هي قدرته على مخاطبة الناس، والتسلل لوجدانهم، ومخاطبة ذلك الفراغ المتزايد مع طغيان المادية والفردية.

والحقيقة أن مفهوم المنبر–في الرؤية الإسلامية– متسع، فهو ليس ذلك التشكيل الخشبي الذي يصعد عليه الخطيب ليعظ الناس ويرشدهم، ولكن المنبر هو كل مكان يستطيع المصلح والواعظ من خلال مخاطبة الناس والتأثير فيهم، وهذا يجعل من الكتاب وموقع التواصل الاجتماعي والفضائية منبراً.

ويناقش هذا المقال مسألة الفراغ الوجودي الذي يعاني منه الإنسان المعاصر، وبات يؤرق حياته، ويدفعه إلى المعاناة بشتى أنواعها، والفراغ من القضايا المعاصرة المعقدة، فإذا كان البعض يهرب منه، ويشكون من نهشه لذاته، فإن آخرين يشكون من ندرته، فلا تمنحهم الحياة الوقت الكافي ليتعرفوا على ذواتهم، وإذا كان هناك فائض في الزمن عند البعض يبددونه في التفاهات، فهناك آخرون يعيشون في ازدحام من الضغوط والواجبات يجعل الفراغ أعظم أحلامهم، ومع ذلك فالفراغ هو المساحة التي تتنفس فيه المواهب والإبداعات، فإذا كانت الحاجة هي أم الاختراع، رغم أن شواهد التاريخ تدحض هذا الادعاء، فإن الفراغ هو المساحة التي نمت فيها المواهب

وأبدعت فيها الحضارات عمرانها وابتكاراتها.

الفراغ الوجودي:

الفراغ حالة إنسانية أصابت غالبية البشر، لفترات متفاوتة، لكن هناك من لازمه الفراغ كحالة مزمنة، وهو خليط من المشاعر المتنوعة من الملل والاغتراب وعدم الرضا وغياب السعادة وفقدان المعنى والغاية وضبابية الهدف، وغياب التحدي والحافز، لكن أعظم أنواع الفراغ معاناة هو الفراغ الوجودي، وهو حالة من خواء النفس من الإيمان والاعتقاد المتعالي، وهو حالة مزمنة، تشبه الذئب الذي يعوي منفرداً في الصحراء الشاسعة، لا يجد من يجيبه، وهذا الشخص ليس له من مهرب إلا الانغماس في الملذات والشهوات أو الجريمة أو الانحرافات أو حتى التخلص من الحياة.

الإنسان الذي أنتجته الحداثة، كان ضعيف الصلة بالسماء والإيمان، ولم تنجح الحداثة في ملء هذا الفراغ الروحي، إلا من خلال إطلاق العنان لكل ما يحقق النسيان، لكن هذا الفراغ جذب المخاوف، بعدما فقدت النفس الطمأنينة التي كان ينشئها الإيمان، لذا عزا بعض المفكرين الغربيين ذلك الفراغ إلى عدم قدرة الحداثة على تقديم الإجابات عن الأسئلة الوجودية الكبرى، فهذا الإنسان الذي يعاني من الفراغ الوجودي المزمن، لا يريد الاعتراف بحاجته إلى الاعتقاد، ولذلك يرفض التوقف، ويمضي مسرعاً رافضاً النظر لذاته الفارغة.

يصر البعض على انتقاد الحداثة في آثارها المادية، مثل الاستهلاكية المفرطة، أو استنزاف الموارد، ويتغاضى عن تأثير الحداثة في إنشاء الفراغ الوجودي في النفس البشرية، وحسب المفكر سيد حسين نصر، فإن الحداثة قادت إلى الفراغ الروحي، عقب انفصالها عن «المتعالي»، فتكريس المجتمع الحديث لنفسه من أجل العلم والتكنولوجيا فقط، خلق فراغاً روحياً وقلقاً وجودياً.

يقود الفراغ إلى زيادة قيمة ومكانة اللذة في حياة الإنسان، وربما استطاعت الطفرات التكنولوجية والاقتصادية أن تخلق إشباعاً مؤقتاً لهذه اللذات، لكن بعدما زالت تلك السكرة وحدثت الإفاقة، انتابت الإنسان المعاصر الكثير من المخاوف والقلق الوجودي، فمع كل تقدم مادي وعلمي وتكنولوجي يزداد احتكاك الإنسان بالأسئلة الوجودية الكبرى حول الخالق سبحانه وتعالى، والمصير، والموت، وعلى قدر الفراغ الروحي يكون ضجيج تلك الأسئلة في النفس.

الفراغ الروحي، قد يكون متوارياً وراء الانشغالات الحياتية، أو الانغماس الكبير في الترف والملذات، ولكن يظهر فجأة وبكل عنفوان مع تعرض الشخص لأزمة كبرى كموت أحد الأشخاص القريبين منه أو الإصابة بمرض، في كتابها «شفاء الفراغ: دليل للرفاهية العاطفية والروحية»، تقدم الكاتبة الأمريكية المسلمة ياسمين مجاهد مساهمة لعلاج هذا الفراغ الوجودي المزمن، على أرضية إسلامية، وهي متخصصة في علم النفس وعلوم الاتصال، والكتاب يقدم مداواة للنفس، فأبواب السعادة تُفتح من الداخل في أغلب الأحيان.

والسعادة منشؤها النفس أولاً، فإذا كانت النفس ممتلئة بقوة الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى، فإن النفس ستفيض على الوجود سعادة وبهجة، ولا يعني ذلك أن تكون النفس بلا عيوب، ولكن قد يتجاور الخطأ والعيب بجانب الصواب والإلهام، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشَّمْس:٧-٨]، هذه الرؤية تمنح الإنسان المؤمن القدرة للتعامل مع آلامه، وأن يمنع تلك الآلام أن تدمر ذاته أو الآخرين، وتضفي سكينة على النفس والوجود.

تشير مجاهد إلى أن شعور الإنسان بالألم، في ظل فراغه الروحي، سيجد نفسه محاطاً بكمّ كبير من المهدئات المخيفة من الجنس والمخدرات والخمر والمادية

والاستهلاكية، لكن حقيقة هذه المهدئات أنها تمثل حالة هروب، فقد يهرب الإنسان من هذا الفراغ إلى الاختباء في مواقع التواصل الاجتماعي، التي تمنحه شعوراً مؤقتاً بالامتلاء والسعادة.

تدعو مجاهد ألا نخجل من إنسانيتنا، بل يجب علينا السعي لمحاولة فهم أعمق لأنفسنا والوجود من خلال الإيمان بالله تعالى، وأن ندرك أن الجِراح قد تكون وسائل للتعلم والمعرفة، وأن الشفاء منها يجعل الإنسان أقوى، وربما يتوافق كلامها مع مقولة جلال الدين الرومي: «إن الجرح هو النافذة التي يدخل منها النور إليك»، فالحياة ورحلتنا فيها ليست هي الغاية أو النهاية، ولكن لا بد أن يرنو الإنسان ببصره بعيداً ليبصر الآخرة، فرؤية الآخرة واستحضارها في النفس تكافح الفراغ الروحي وأزماته.

خطورة الفراغ:

الفراغ قد يكون من مسببات اضطرابات الشخصية، وقد يدفع إلى إيذاء الإنسان لنفسه من خلال الإدمان أو الجريمة أو الانتحار، فالفراغ قد يكون مرتبطاً بمشاعر الخسارة والفقد والغياب واليأس، وينتج عن ذلك أزمات في الصحة النفسية والعقلية والجسدية.

هناك ارتباط بين الفراغ والصحة والجريمة والانحرافات السلوكية، خاصة لدى الشباب، فقد يلجأ البعض إلى الجريمة لملء فراغه الروحي وليس لأي غرض آخر، وربما هذا ما أشار إليه كتاب صدر قبل عقدين بعنوان «الأولاد الضائعون: لماذا يتحول أبناؤنا إلى العنف؟» للبروفيسور وعالم النفس الأمريكي جيمس جاربارينو.

حيث يؤكد جاربارينو أن أحد أهم مسببات جنوح المراهقين والصغار نحو

العنف هو حالة الفراغ والانفصال بين هؤلاء والنماذج والشخصيات الإيجابية، فلا يجد هؤلاء الصغار إلا العنف، الذي يداعب خيالهم من خلال الأفلام وثقافة الأسلحة النارية، التي تقدم نموذج الرجل القاتل العنيف كنموذج للاقتداء، وأن السبيل لمواجهة تلك الحالة القلقة الخطرة هو تغذية المعنى في نفوس هؤلاء الصغار، وغرس القيم الأخلاقية الدافعة للانخراط الإيجابي في المجتمع.

ويؤكد جاربارينو أن الأزمة الروحية جوهر مشكلة العنف بين الشباب، فالبشر ليسوا مجرد حيوانات ذات أدمغة معقدة؛ بل كائنات روحية لها خبرة مادية، وهذا الإدراك يساهم في فهم جنوح هؤلاء الصبية نحو العنف، فهم غالباً ما يشعرون باللامعنى.

وخلصت دراسة للباحث البريطاني ديفيد كلونسكي بين طلاب الجامعات أن ٦٧٪ منهم شعروا بالفراغ قبل الانخراط في إيذاء النفس، وأن الفراغ ذو ارتباط وثيق بالشعور باليأس والوحدة والعزلة، وهو مؤشر قوي للاكتئاب والأفكار الانتحارية.

وأشارت دراسة أخرى إلى أن الفراغ واضطرابات الهوية مرتبطان بالسلوكيات المدمرة، ومقدمة للانخراط في اضطرابات الشخصية الحدية، لكن هناك مشكلة في علاج الفراغ، وهي أن يلجأ الشخص لبناء علاقات غير سليمة وغير نافعة من أجل التخلص من الفراغ، وهو ما قد يفتح باباً من الأخطاء والشرور.

أما الرؤية الإسلامية للفراغ، فتراه نعمة يجب ألا تُبدد ولا تُهدر، وفي الحديث الوارد في صحيح البخاري، قال صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ»، فالكثير من الناس يظن أن الفراغ جبل لا ينفذ، فيستهين به، ولا يستثمر هذا الفراغ فيما ينفع نفسه والآخرين، وفيما يصلح الدنيا والآخرة.

أما الشباب فيتجمع فيهم الفراغ والصحة، ويغفل الكثير من الشباب عن الاستفادة منهما في بناء الذات والولوج للمستقبل بخطوات واثقة قوية، لذلك كان الحديث عن تبديد فترة الشباب له سؤال خاص في الآخرة، ففي الحديث الذي رواه الترمذي: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم»، لذلك كان الصحابي عبدالله بن مسعود يرفض الفراغ غير المثمر، ويقول: «إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللاً فارغًا، لا في عمل دنيا، ولا في عمل آخرة».

خطبة الجمعة.. رؤية معاصرة

أسامة الهتيمي

لم يكن أمراً عفوياً أن يجعل الإسلام من الخطبة عبادة مفروضة كما هي حال خطبة يوم الجمعة مثلاً، أو مسنونة كما في العيدين الفطر والأضحى، فهذا مما يحمل دلالة مهمة تؤكد إلى أي مدى منح الإسلام الخطبة مكانة عالية ورفيعة كونها واحدة من أهم وسائل الدعوة التي هي مهمة من مهام الأنبياء، ووظيفة من وظائف قادة الأمم من المصلحين والصالحين والخلفاء والعلماء، التي يمكن عبرها أن تكون عملية الإرشاد والتوجيه للأفراد والمجتمع كله، ومن ثم إحداث التأثير لتتغير الأفكار بما يتوافق مع تعاليم الإسلام وتوجيهاته، وتحث المسلمين في كل مكان على التفاعل مع تطلعاتهم وهمومهم.

شروط الإثابة:

ولعل هذه المكانة وهذه الأهمية هي ما دفع الإسلام إلى أن يجعل التحصل على الثواب الكامل لأداء صلاة الجمعة ذاتها مرهوناً بساعة الحضور المبكر للمسجد وقبل صعود الخطيب للمنبر، وليس لمجرد أداء صلاة ركعتي الجمعة، وهو ما يعني الحرص الكامل على التهيؤ الجيد للاستماع للخطبة ومنذ كلمتها الأولى.

بل إنه جعل عدم المسارعة لذلك ولو بالانشغال بالتجارة والربح هو من المخالفة للأمر الإلهي الخاص بالسعي إلى ذكر الله عز وجل حيث قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ

ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجُمُعَة:٩-١٠].

وبالطبع، فإن مجرد الحضور للخطبة منذ بدايتها ليس هو مقصود الإسلام أو طريق الحصول على الثواب، إذ يمكن لبعض المسلمين أن يحرصوا على التبكير دون أن يلتفتوا أو يعطوا اهتماماً حقيقياً لما يلقيه الخطيب، وهو ما يرفضه الإسلام، فالمسلم مطالب خلال خطبة الجمعة بأن يلتزم الصمت واليقظة والانتباه، فلا يشغله عن متابعتها أي شيء ولو كان مساً للحصى الذي يجلس فوقه؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من مسَّ الحصى، فقد لغى» (رواه مسلم)، ويقول أيضًا: «لا يغتسل رجل يومَ الجمعة ويتطهر ويدهن ويتطيب ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب الله له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» (رواه البخاري).

وعليه، فإن الانشغال بغير الخطبة وما يلقيه الخطيب -ولو كان ربحاً أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر- هو مما يتنافى تمامًا مع ما أراده الله عز وجل من هذه الخطبة؛ إذ إن الهدف الأساسي هو أن يستحضر المسلم قلبه ويعمل فكره فيما يسمع من المواعظ والتوجيهات لعله يرجع بنتيجة ظاهرة وفائدة كبيرة يبقى أثرها معه طوال حياته، وإلا فإن وقت الخطبة يصبح شيئاً من العبث وتضييع الوقت يتساوى في ذلك مع هذا الذي أتعب نفسه في جوع وعطش يزعم أنه صائم في حين أنه لم يغض بصره ولم يصن لسانه ولم ينأَ بنفسه عن ارتكاب ما حرم الله فما كان له من صيامه إلا ما عاناه.

سرقة الجمعة:

إذا كانت هذه هي نظرة الإسلام للخطبة، وهي النظرة التي تتسم بكل هذا القدر من التقدير، فهل من المنطقي بعد كل ذلك ألا يكون كل من الخطيب والخطبة بالمستوى اللائق؟ بالطبع يكون من غير المنطقي أن يمنح المرء وقته واهتمامه لمن لا يستحق خاصة في خضم ضغوط الحياة المتزايدة والمغريات الملهية اللامتناهية، فخطبة الجمعة المقصودة إذن لا بد أن تكون ذات قيمة في شكلها وموضوعها وأثرها فضلاً عن الناطق بها.

غير أنه وعلى الرغم مما سبق، فإن ثمة حقيقة مؤسفة تتجسد في عدم إدراك الكثير من الخطباء لأهمية الخطبة وطبيعتها، وهو ما كان سبباً رئيساً في أن تتحول خطبة الجمعة من فاعلية إسلامية مهمة إلى شيء ثقيل على القلب، يذهب إليه البعض ليس إلا من باب تأدية الواجب الاضطراري دون استحضار مشاعر الإقبال الواجبة، فتجد بعضهم وقد أخذه النعاس خلالها، أو انتهزها فرصة في مراجعة حساباته المالية، أو استسلم لشرود ذهنه يفكر بعيداً في غير موضوعها، فيتدبر ماذا يفعل في كذا وكذا من أموره الحياتية.

وليست تلك الحالة بالأمر الخفي، بل هو مما عم به البلاء حتى إن الكثيرين ممن حسنت نوايا بعضهم أو ساءت قد أنكروا ما آلت إليه أحوال الخطبة والخطباء، معتبرين أن ذلك بمثابة «سرقة للجمعة».

والواقع أن هذه الحالة بالفعل لا تقل عن فعل السرقة إن لم تكن أخطر منها، فهي أولاً تضييع لأوقات الملايين من المسلمين الذين يقتطعون من أوقاتهم للاغتسال والاستعداد للذهاب للمساجد مبكراً، ليس للعبادة المتمثلة في أداء صلاة

ركعتي الجمعة فحسب، بل للتعبد أيضاً بالإصغاء والتأمل في خطبة الجمعة، فإذا هم بخطباء ليسوا مؤهلين لا على المستوى السلوكي ولا على المستوى العلمي ليقفوا على المنبر وهو ما باعد الثقة بينهم وبين المتلقين.

ويزيد الطين بلة أن بعض هؤلاء الخطباء لا يكتفون بالتعاطي مع الخطبة من منطلق وظيفي يلتزمون خلاله بالتعليمات والتوجيهات السلطوية، بل إنهم مع ذلك يهملون التحضير والإعداد الجيد للخطبة، فتخرج مفككة لا رابط بين عناصرها فتصيب المستمع بالملل وعدم التركيز، فيما أن بعضهم لا يحسن اختيار مواقيت ومناسبات موضوعات الخطبة؛ وهو ما يثير الاستياء ويجعل من الخطبة كلامًا بعيدًا عن تلك المشاعر التي تأهبت النفس لاستقبالها فتنعدم الفائدة.

رؤية معاصرة:

لا يمكن لأحد أن يقلل من قيمة أي توجيه إسلامي، لكن ثمة اعتبارات يجب أن تراعى في تقييم المقام وواقع الحال، فلكل مقام مقال، وعليه؛ فإن الشعور بأن الخطبة والخطيب في برج عاجي هو أشر ما يمكن أن يصيب الخطبة، إذ الخطبة التي لا تمس حياة الناس وواقعهم والإشكاليات الحقيقية والواقعية التي يعيشونها هي أقرب للسفسطة والاستعراض الثقافي منه للوعظ والإرشاد والتوجيه وما وجب من تحديد الرؤى وطرح الحلول والمعالجات الإسلامية.

ولعل أهم ما يبرز في هذا الصدد ضرورة أن يستحضر الخطباء خلال خطبهم أن المجتمعات الإسلامية لم تعد على عهدها السابق في القرون الماضية من حيث محدودية وصعوبة المتابعة لما يجول في المجتمعين الإسلامي والدولي، فالطفرة الرهيبة في وسائل التواصل والإعلام مكنت كل فرد من مطالعة ما يجري وبرؤى

متعددة ومتباينة يحتاج معها المرء لأن يهتدي للرأي الأصوب والأقرب للإسلام، وهو ما يمكن أن يجده في خطبة الجمعة.

كذلك، ومع الفائدة الحاصلة من تنوع وسائل العلم والمعرفة، إلا أن ذلك كان له نتائجه السلبية من حيث الرواج المتعمد لبعض الأفكار العقدية والفلسفية التي ربما تتناقض مع الإسلام؛ ما يوجب على الخطباء القيام بدورهم في الرد على هذه الأفكار وبذل ما في وسعهم لتفادي اعتقاد البعض بها.

كما أنه ليس أقل من ضرورة أن يعي الخطباء أهمية وسائل الإبهار والجذب والتجديد، معتبرين أنفسهم في معركة حامية الوطيس مع المغريات الملهيات التي تتهافت على استقطاب الجمهور؛ بما يعني ألا يكتفوا بالاعتماد على الدافع الديني بوجوب صلاة الجمعة.

خطيب المنبر في الأعمال الفنية.. رؤية نقدية

سيد حمدي

على مر العصور، شكلت شخصية خطيب المنبر رمزاً دينياً واجتماعياً مؤثراً، حيث كان يحمل على عاتقه مسؤولية توجيه المجتمع، وتوعيته بقضايا الدين والدنيا، على اعتبار أن المنبر المنصة التي يقف عليها الداعية أو الواعظ؛ ليبلغ الناس رسالة الإسلام إلى الناس، ويشرح لهم أحكامه وتوجيهاته.

ومنذ بروز المنبر الأول في الإسلام؛ منبر رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، لم يتوقف المنبر عند كونه رمزاً للتوجيهات الدينية والتعبدية وفقط، بل كان رمزاً للسلطة والقيادة، ومركزاً للعلم والمعرفة، وموجهاً للناس عند نزول النوازل.

وفي الأعمال الفنية لا سيما السينما والدراما، تم استثمار هذه الشخصية بشكل واسع من المتحكمين والمسيطرين على مؤسسات الثقافة وأجهزة الإعلام، وجلهم من العلمانيين في إطار سعيهم الحثيث لمحاربة الدين من خلال تشويه رموزه، وتحويلهم إلى أداة للضحك والاستهزاء.

ويحرص المتحكمون في الأجهزة المنوط بها إنتاج الأعمال الفنية على تشويه صورة الداعية بحيث يبدو للناس شخصاً سلبياً تنفر منه المجتمعات، أو انتهازياً لا يدعو إلى الثقة، أو أضحوكة، أو قدوة سيئة لا هَمَّ له في الحياة إلا تحصيل المتع والاستمتاع بالملذات؛ ما يفتح الباب واسعاً للهجوم على الإنسان المتدين باللمز والغمز والسخرية.

كان الظهور الأول للمنبر في الأعمال السينمائية بفيلم «الشيخ حسن»، وهو فيلم مصري أنتج في عام ١٩٥٢م، من بطولة حسين صدقي، ويحكي قصة حب عابرة للديانات، ورغم بعض المآخذ على الفيلم، فإنه نجح بشكل كبير في إظهار المنبر فضلاً عن رجل الدين الذي يعتليه بشكل إيجابي.

حيث جسد صدقي شخصية شيخ أزهري شديد الإيجابية والتأثير في المحيطين به، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويخطب الجمع، ويستعرض بعض أحكام الزواج في الإسلام، مبرزاً جماليات الدين المخفية، والتأكيد على قيم المساواة والعدل في العلاقة الزوجية، مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، داعياً زوجته النصرانية إلى الإسلام بعد أن أبرز لها جمالياته، وقيمه الأصيلة المتوافقة مع الفطرة البشرية، ومصححاً لكثير من التصورات المغلوطة عن الإسلام، ويقرب المفاهيم الصحيحة لعموم الناس، ويحبب الشريحة المتغربة في اللغة العربية، ويتعامل بحكمة مع قضايا المجتمع، فيحارب البدع ومنها النواح على الميت، ويعنف مدخني الحشيش، ويؤصل لقضية ألا تنكح البكر حتى تستأذن في تضاد مع العرف السائد وقتها أن للرجل إجبار ابنته البكر أو الثيب على الزواج، بعيداً عن النمط التقليدي للمشايخ والعلماء في ذلك الزمن.

وحين خرج فيلم «جعلوني مجرماً» للنور، لم تكن صورة المنبر بنفس القوة التي ظهر بها فيلم «الشيخ حسن»، غير أن اللقطة العبقرية التي بدا فيها فريد شوقي محتضناً المنبر تحمل دلالة قوية ومباشرة على دور المنبر فضلاً عن المسجد في حياة المسلم، علاوة على الرمزية التي عكسها المشهد التي تتعلق بمفهوم الخطيئة والتوبة في الإسلام.

نماذج قليلة للغاية في السينما والدراما العربية لا سيما المصرية التي تظهر المنبر ومن يعتليه بصورة إيجابية، لعل أبرزها: فيلم «الشيخ حسن» مروراً بـ«جعلوني مجرماً»، وفيلم «شيء من الخوف» الذي مثَّل فيه رجل الدين رمزاً للضمير الحي والوعي الحقيقي بالقيم الدينية التي تواجه الظلم والطغيان.

ولعل أجمل ما في هذا الفيلم تحديداً تسليطه الضوء على أهمية صلاة الجمعة كونها نقطة التقاء دوري لبحث شؤون المسلمين وتوعيتهم بما يصلحهم ويفسدهم، وتسليط الضوء على قضية الزواج بالإكراه، معتبراً أنها ليست قضية فردية، بل تهدد سلامة المجتمع بأسره.

أعمال مسيئة:

باستثناء هذه الأعمال السالف ذكرها، وقليل غيرها، ظهر المنبر بصورة مقيتة في جل الأعمال الدرامية والسينمائية العربية، فقد استغله الكاتب محفوظ عبدالرحمن، والمخرج محمد فاضل في فيلم «ناصر٥٦» حينما صعد بطل الفيلم الذي يجسد شخصية عبدالناصر ليخطب في الناس من على المنبر؛ بما جعل من المنبر أداة مسيسة في خدمة الزعيم.

وقد شوه المنتجون في العديد من أفلامهم صورة من يصعد على المنبر، من أبرزها فيلم «القرموطي في أرض النار» الذي تعمد إضعاف رمزية رجل الدين وخطيب المنبر في نفوس المسلمين قبل غيرهم حينما أظهره بشخصية هزلية متناقضة، تدعو للسخرية والاستهزاء.

وكذا الحال في فيلم «مطب صناعي» ظهر خطيب الجمعة يتحدث بلهجة عامية، يقطع الخطبة ويتحدث مع المصلين، وحتى لو كان مضمون ما يقوله صحيحاً، إلا أن

مخرج الفيلم تعمد أن يظهر خطيب المنبر بصورة تنفر الناس من الدعاة والوعاظ، وتبعدهم عن التأمل في أهمية خطبة الجمعة وضرورة أن تحمل مضامين أهم وأهم من قضية «رنات هاتف محمول».

وقد حرص مخرج فيلم «طباخ الريس» أن يظهر خطيب المنبر بصورة المنافق الذي يتكلم عن ضرورة أن يطبق الحاكم العدل بين الرعية على غرار ما قام به سيدنا عمر بن الخطاب، بينما تملق الخطيب الحاكم حينما وجده جالساً بين المصلين، والقيمة التي حاول التركيز عليها أن الخطباء جبناء ومنافقون.

وفي فيلم «الإرهابي» تعمد لينين الرملي أن يشوه صورة المتدين عموماً، لا سيما الخطباء والدعاة، فالخطيب هو ذلك الشخص الذي تخيم عليه الكآبة وروح الشر والأسلوب المنفر، لم يكن ذلك جلياً في المشاهد المرئية في فيلم «الإرهاب» على سبيل المثال، بل ظهر ذلك أيضاً في الخطبة التي كان يستمع إليها أبطال الفيلم المتحضرين المقبلين على الحياة على شريط كاسيت، والخطيب يتوعد ويحذر بأسلوب فيه غلظة تدعو للضحك والسخرية.

والخطيب والداعية هو الرجل المتهور الذي لا يحسب حساب التبعات حينما خرج لمطاريد الجبل منفرداً دون حماية، والساذج في الوقت نفسه في مشهد ثان، والمتلاعب بعواطف الناس في مشهد ثالث، كما صوره صناع فيلم «الحدق يفهم»، وهو الجبان، والذي يدعو للسخرية في فيلم «صرخة نملة» لأنه تحمس وصعد إلى المنبر ليخطب لمصل واحد، ومضمون الخطبة الدعاء لرجال الأمن الذين يقفون على أبواب المسجد، وهو الحشاش البوهيمي في فيلم «الكيت كات»، وهو الجاهل البلطجي في مسلسل «جزيرة غمام»، وهو الداعية المتاجر بالدين الباحث عن الشهرة كما في فيلم «مولانا».

دراما عربية:

والأمر ليس حصراً على الدراما والأعمال الفنية المصرية، بل نال المنبر وخطيبه تشويهاً في بعض الأعمال الدرامية العربية، ففي السودان ظهرت شخصية «الشيخ رفاعي» إمام المسجد في المسلسل السوداني «ود الملك» منحرف السلوك، وكأن القيمة التي ركز عليها صناع المسلسل أي دين سوف يأخذه الناس من خطيب الجمعة وهو في الأصل مهووس بالنساء ولا هم له في الدنيا إلى إرضاء شهواته!

وفي أشهر الأعمال الدرامية السورية مسلسل «باب الحارة ١٢»، وبدلاً من ظهور شخصية الداعية والخطيب على أنه الشخصية المحورية في المجتمع والقدوة، ظهر وهو يتغزل بامرأة، لترسيخ فكرة أن رجال الدين يعانون من الهوس الجنسي، لا يهمهم إلا مصالحهم الشخصية وشهواتهم ونزواتهم، ومن ثم فهم خطر حقيقي على المجتمع الذي يعيشون فيه، والابتعاد عنهم ضرورة!

ومجمل القول: إن شخصية خطيب المنبر في الأعمال الفنية العربية نالت من الأذى والتشويه المتعمد الكثير والكثير، استجابة لموجة الغمز واللمز في دين الله وتشويه الشريعة والحط من قدر الوعاظ والخطباء في عيون الناس، ولهذا يجب تكاتف الجهود من الجميع ابتداء من الدعاة والوعاظ مروراً بالكتَّاب والمثقفين وصولاً للهيئات الإسلامية من أجل تسليط الضوء على المنبر ورواده باعتباره وسيلة من وسائل نهضة الأمة وأداة من أدوات رفع منسوب الوعي لدى المسلمين، والموجه لعقول الناس، والمغذي لقلوبهم، والصوت الذي يعيد الناس إلى خالقهم، والمذكر الدوري برسالتهم.

طوفان المنابر وراء انتصارات الأمة

جمال سعد

لا يمكن إغفال دور المنابر بتنوعاتها، سواء في المساجد، أو عبر وسائل الإعلام والتواصل، في شحذ الهمم، وتجييش المقاومين، وصناعة ملحمة الصمود في معركة «طوفان الأقصى» للعام الثاني على التوالي، ومن قبلها حرب أكتوبر، ومعركة «عين جالوت»، وغير ذلك من بطولات وأمجاد الأمة الإسلامية عبر تاريخها التليد.

«المجتمع» تعقبت دور المنابر في تاريخ الأمة، بداية من خطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي ملك الحبشة، في وجود عمرو بن العاص، قائد وفد قريش الذي جاء للتحريض عليهم وأخذهم أسرى إن استطاع، وهذا العز بن عبدالسلام الذي وقف إلى جانب سيف الدين قطز لقهر المغول في «عين جالوت»، والعلَّامة عبدالله بن ياسين الجزولي، الذي أدى دوراً في تأسيس دولة المرابطين بالمغرب التي حاربت الوثنيين، وبعض الخوارج على الإسلام حتى استشهد خلال قتالهم عام ١٠٥٩م.

يقول د. سيف قزامل، العميد السابق لكلية الشريعة والقانون بطنطا- جامعة الأزهر، خلال حديثه لـ«المجتمع»: إن دور علماء الإسلام في الحروب لا يقل عن المقاتلين الذين يحملون السلاح، بل إنه يفوقهم في بعض الأحيان؛ لأن دورهم الحقيقي شحذ روح الجهاد في نفوسهم قبيل المعركة وخلالها لتحقيق النصر أو الشهادة، لقوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنفال:٦٠]، فإن انتهى القتال

بالنصر يكون دورهم تهيئة القادة السياسيين والعسكريين للسلام من منطلق القوة التي تحمي الحق، لقوله سبحانه: ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾ [الأنفال:٦١].

وضرب قزامل أمثلة لما قام به علماء الأزهر الشريف خلال حرب أكتوبر ١٩٣٧م، ابتداء من شيخ الأزهر د. عبدالحليم محمود الذي قام بتجييش بعض أساتذة جامعة الأزهر وكبار الدعاة للقيام بالتعبئة المعنوية للجنود خلال حرب الاستنزاف، ومع بداية الحرب صعد على منبر الأزهر وألقى خطبة نارية تؤكد أن حربنا مع الصهاينة حرب دينية وجودية في سبيل الله، ومن يتقاعس فهو منافق.

إمام الدعاة:

ويشير د. محمد عبدالدايم الجندي، الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، في حديثه لـ«المجتمع»، إلى أن إمام الدعاة الشيخ محمد متولي الشعراوي، الذي سبق أن سجد لله شكراً عقب هزيمة ١٩٦٧م، مبرراً ذلك بأن الناس كانت مفتونة بالشيوعية المعادية للأديان ولو انتصرت لزادت فتنة عامة الناس في دينهم، إلا أنه ساهم في إحياء الروح المعنوية للجنود قبيل وأثناء حرب أكتوبر حيث استعان بهم الجيش لغرس روح الفداء والتضحية في سبيل الله، وأن النصر بقوة الإيمان قبل السلاح، وأن المسلمين عبر التاريخ ابتداء من غزوة «بدر» وحتى الآن لم ينصروا إلا بقوة إيمانهم قبل عتادهم.

وأضاف أن علماء الأزهر كانوا على الجبهة مع الجنود يبيتون معهم، بل وبعضهم حمل السلاح معهم رغم تقدمه في السن، وتم تسجيل لقاءات كثيرة للشعراوي مع القادة والجنود على الجبهة بسيناء، وكان مما قاله: «أنا ومهمتي وأنتم ومهمتكم، نلتقي في أننا جميعًا جنود الحق، أنا بالحرف وأنتم بالسيف، وأنا بالكتاب وأنتم

بالكتائب، وأنا باللسان وأنتم بالسنان».

أدوار رائدة:

ويثمن د. سعد بدير، أستاذ التاريخ بجامعة الأزهر، دور دول الخليج والدول العربية في نصر أكتوبر، وكان ذلك على يد الدعاة، مشيراً إلى أن من الفتوحات الربانية لعلماء الأزهر ما اقترحه الشيخ حسن مأمون، شيخ الأزهر الأسبق بمنع تصدير البترول لأنصار العدو الصهيوني، ومن كلماته لحكام وشعوب الأمة التي سجلها التاريخ: «أيها المسلمون، إن مصر لا تحارب «إسرائيل» وحدها، إنها تكافح العدوان الموتور، الممثل في أمريكا وبريطانيا، وإني باسم علماء الأزهر الشريف والمصريين عامة أناشدكم أن توقفوا تصدير البترول إلى دول الغرب، حتى يتحقق النصر وتشاركوا معنا في ردع هذا العدوان الغاشم على إخوتكم في مصر».

وأوضح أن الشيخ مأمون لم يكتف بذلك، بل وجه نداء قبل الحرب للسنوسي، ملك ليبيا، بالقضاء على القواعد العسكرية الأمريكية والبريطانية في بلاده، واصفاً إياها بأنها «خنجر مصوب إلى ظهر مصر المجاهدة المستبسلة».

وكذلك الشيخ محمد الفحام الذي تولى مشيخة الأزهر عام ١٩٦٩م، كان، رغم تقدمه في السن وظروفه الصحية، يردد دائماً أنه يعتبر نفسه جندياً مجاهداً في سبيل الله، وقام خلال حرب الاستنزاف بزيارات عديدة مع كبار الدعاة لجبهة القتال، واستمر في الشحذ المعنوي لأبطال الجيش، وبعد النصر قام بعبور القناة والصلاة في أرض سيناء المباركة، وكان بصحبته كبار الدعاة ومنهم الشيخ محمد الذهبي، وكذلك كان الشيخ إسماعيل صادق العدوي، مع مجموعة من علماء الأوقاف متواجدين وسط الجنود لتقوية الإيمان ورفع الروح المعنوية.

وأكد أن الداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي أدى دوراً كبيراً في الإعداد المعنوي للحرب والحث على تماسك الجبهة الداخلية ممثلة في قوة الوحدة الوطنية بين عنصري هذه الأمة من مسلمين ومسيحيين، كما قام أئمة المساجد بجمع التبرعات المادية والعينية وشاركوا في اللجان الشعبية والمقاومة الشعبية والدعوة للتطوع وأبرزهم الشيخ حافظ سلامة الذي قاد المقاومة الشعبية في السويس، وهو ما يتكرر الآن في حرب غزة، من دور للدعاة والأئمة في رص الصفوف وراء المقاومة بالدعاء والتبرع والمقاطعة والدعم بكل صوره المتاحة، حتى دحر الصهاينة المحتلين واسترداد المسجد الأقصى من بين أيديهم.

منابر ذكية!

أحمد عبد الواحد

لم يدر في مخيلة أحد أن عصا الشهيد يحيى السنوار ستصبح أيقونة حول العالم، وأن مقطع فيديو لا يتجاوز دقائق، يعرب فيه عن أمنيته بأن يموت بـ«الأباتشي» سيغزو منصات التواصل، وأن قضيته العادلة ستتصدر «الترينـد» على مدار أكثر من عام، وكأنه امتلك منابر الدنيا، يخاطب الناس بالعمل لا بالعمل، وبالجهاد لا بالقعود.

إنها منابر القرن الحادي والعشرين؛ فيديو، مقطع صوتي، صورة، تدوينة، رسم كاريكاتيري، لحظة صدق وإخلاص، يمكن أن تكون خيراً من ألف رسول، وأقوى من ألف مدفع، وأفتك من ألف صاروخ، بل ربما تحقق ما لم تحققه الشعوب والأمم، أو ما يخطط له ملاك وأصحاب شبكات التلفزة والميديا.

الواقع يؤكد أن وسائل وأدوات جديدة فرضت نفسها على خارطة المنابر، في عالم يعج كل يوم بالجديد على صعيد وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة والإلكترونية، وسط تسارع هائل في عالم التكنولوجيا والاتصال، جعل من العالم قرية صغيرة، وصنع من هاتف صغير بحجم اليد، مدفعية ثقيلة، يحسب لها ألف حساب.

أذكر كيف تحول «بوست» من ٣ أسطر، كتبته عبر صفحتي الشخصية على «فيسبوك»، إلى مشروع دراسة بحثية، سرعان ما تطورت إلى كتاب يجوب معارض الدنيا، لتزداد قناعاتي بأن في يد كل منا منبراً حقيقياً، يستطيع من خلاله أن يغرس

ويربي وينتج ويغير ويصلح، بل ويقود الجميع نحو الأفضل، وما كلمات السنوار وعصاه عنا ببعيد.

إن من الخطأ التقليل من شأن فيديو، أو صورة، أو رسالة، أو «هاشتاج»، أو «ترينـد»، بعد أن باتت منصات التواصل منبراً عظيماً يفد إليه الناس من شتى بقاع الأرض، أكثر من ٥ مليارات شخص؛ أي نحو ٦٢,٣٪ من سكان العالم، وفق بيانات صادرة عن شركة الاستشارات الرقمية «كيبيوس»، العام ٢٠٢٣م.

في ثوانٍ، يمكن لتطبيقات، مثل: «فيسبوك»، «واتساب»، «إنستغرام»، «تويتر»، «تليجرام»، «وي تشات»، «تيك توك»، «دويين»، أن تصل إلى ملايين الأشخاص حول العالم، وأن تغزو جميع الطبقات والفئات والجنسيات، وأن تتجاوز حدود الجغرافيا والتاريخ والدين.

وسائل دعوية:

أنت تمتلك منبراً في يدك، هاتفك الذكي، الذي يمكن أن تجعل منه وسيلة دعوية، ومصحفاً متنقلاً، وأرشيفاً يحوي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، تذكر من تشاء بخير الكلام، أو تنشر أطايب القول، وقد توقظ به أصدقاءك لصلاة الفجر، وقد تقدم من خلاله الموعظة في أي مناسبة من خلال الاستفادة من المواقع المخصصة للخطابة والمحاضرات، كذلك يمكن أن تجعل من هاتفك عبر تطبيقات عدة مؤذناً للصلاة، وقارئاً للأذكار، ومذكراً بالخير والطاعات.

وعبر وسائل التواصل، يمكن للمرء، إذا خلصت النوايا، أن يجعل من صفحاته منابر حية، لنشر كل ما هو نافع للناس، ناصحاً بالخير، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وأن يوظف البث المباشر لنقل فعاليات هادفة، ومواقف نبيلة، إضافة إلى

تفعيل المقاطع المرئية القصيرة، والمساحات الصوتية و«البودكاست» كأنها مساجد متنقلة عبر الإنترنت.

وهناك بالفعل من نجح في توظيف برامج مثل «زووم» كمنصة تؤدي دور الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم، بل مدارس إلكترونية لمدارسة علوم الدين بلغات أجنبية مختلفة، فتجد من المؤثرين من يحفظ أهل الغرب كتاب الله، أو يعلم غير الناطقين بالعربية لغة الضاد، أو ينشر الإسلام بين الأوروبيين، أو يصل بقيم الإسلام إلى الأمريكيتين، وكأنه سفير للإسلام.

وعلى المنوال ذاته، هناك من غزا «تيك توك» فأبدع وأنتج مقاطع هادفة، وهناك من أطلق قنوات على «يوتيوب» لخدمة الدين والعلم ونشر الفضيلة، أو فتح أبواب الاستشارات والفتاوى عبر التطبيقات الإلكترونية، وأنشأ مكتبات علمية وفقهية ضخمة عبر الإنترنت، وأتاح أمهات الكتب لعلوم التفسير والفقه والحديث والسير والتراث لكل ذي حاجة.

وعبر تقنية الذكاء الاصطناعي، يتم حالياً إطلاق داعية متخصص في الحوار مع غير المسلمين؛ للرد على استفساراتهم حول الإسلام، وتفنيد الشبهات المثارة حول دين الله، وإجراء محادثات متعددة بلغات مختلفة، ليكون منبراً ذكياً، وسفيراً عصرياً ينشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

قبل شهور، نجح مدرس إيراني في تطوير «روبوت» يعلم الطلاب في المدارس الابتدائية كيفية تأدية الصلاة، وقراءة القرآن، في تجربة ممتعة، اجتذبت الصغار، ونالت إعجابهم، بل ساعدت على تصويب أدائهم للصلاة بالطريقة الصحيحة، بحسب وكالة «أسوشيتد برس».

وفي اليابان، تمكن باحثون من تطوير راهب آلي يقدم التعاليم البوذية، ويوفر إجابات مباشرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، كمحاولة لاستعادة شغف اليابانيين بانتمائهم الديني، واستيعاب مشكلاتهم الروحية والأخلاقية، بواسطة آلة تجمع بين العلم والدين.

إن رقمنة الدعوة باتت أمراً واقعياً وحتمياً، في ضوء تكالب الناس على وسائل التواصل، والتفاف الشباب حول هواتفهم الذكية، وتغول التكنولوجيا على كافة جوانب الحياة، وهو ما يستلزم منا تطويعاً لتلك التقنيات في خدمة الإسلام، وتوظيف الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله تعالى، وهذا لن يتم بالمنابر التقليدية التي لا نقلل من شأنها، أو ندعو لمغادرتها، بل نطالب بالمزيد من التطوير، وتجييش خبراء الذكاء الاصطناعي لدعم الدعاة، وتقديم الإسناد لهم في معارك العولمة والتغريب والإلحاد والشذوذ والغزو الثقافي، وغيره؛ لنخرج البشرية من الظلمات إلى النور.

منبرا «الأقصى».. دلالة الاسم ورمزية المكان

سيف باكير

يضم المسجد الأقصى المبارك منبرين تاريخيين رئيسين أنشئا في العهدين الأيوبي والمملوكي؛ هما منبر نور الدين محمود زنكي، ومنبر برهان الدين بن جماعة، وهما أشهر منبرين موجودين لا في «الأقصى» وحده، بل في بيت المقدس كلها.

أولاً: منبر نور الدين:

يعد منبر نور الدين الجليل من أجمل وأروع ما أبدعته يد الإنسان من قطع فنية نادرة، حيث يعتبر أحد أشهر المنابر على مر التاريخ؛ لارتباطه لا بالمسجد الأقصى المبارك فقط، بل بقيمة التحرير، فقد بقي طوال زهاء ٨٠٠ عام رمزاً للنصر والتحرير والعزة منذ وضع في مكانه حتى إحراقه.

ويشتهر هذا المنبر بأنه صنع بأسلوب «التعشيق»؛ وهو أسلوب يعتمد على ربط القطع الزخرفية الخشبية بعضها ببعض دون الحاجة لتثبيت بواسطة المسامير أو غيرها، وهذا أسلوب بديع نادر كان معروفاً في حلب، حيث صنع المنبر.

ويسمى هذا المنبر بين العامة باسم «منبر صلاح الدين» نسبة للسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، وهي تسمية غير دقيقة تاريخياً، ذلك أن الذي أمر بصناعة هذا المنبر لم يكن صلاح الدين وإنما كان سلفه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي.

وقد أمر ببنائه عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م، قبل تحرير «الأقصى» بـ١٩ عاماً، فصنع المنبر في حلب وجهز ليتم وضعه في المسجد الأقصى المبارك بعد التحرير من

الاحتلال الصليبي، ولكن مشيئة الله عز وجل قضت بوفاة نور الدين محمود دون أن يتمكن من وضعه في مكانه.

وجاء بعده صلاح الدين يوسف فحرر بيت المقدس من الصليبيين، وأمر بإحضار المنبر ووضعه داخل الجامع القبلي بالمسجد الأقصى ليصبح المنبر الرئيس في «الأقصى».

إلا أن هذا المنبر أحرق عمداً على يد مستوطن صهيوني أسترالي يدعى دينيس مايكل روهان، يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩، بعد حوالي عامين من احتلال مدينة القدس من قبل الصهاينة.

وكان ذلك عندما أقدم ذلك المستوطن على إحراق الجامع القبلي، مما أدى إلى تدمير المنبر بالكامل وتحوله إلى رماد، ولم يبق منه إلا قطع قليلة وضع بعضها في المتحف الإسلامي بالمسجد الأقصى.

ووضع مكانه منبر حديدي مؤقت بقي هناك حوالي ٣٨ عاماً حتى أمر الملك الحسين بن طلال بإعادة بنائه عام ١٩٩٣، وتكفل الملك عبدالله الثاني بن الحسين بكافة التكاليف المالية لإنجاز العمل، فتم تصنيع منبر شبيه بالمنبر الأصلي في المملكة الأردنية وبنفس الطريقة والخامات وتكون من آلاف القطع الزخرفية الجميلة، ووضع في مكانه عام ٢٠٠٧.

ويذكر أن الملك العادل نور الدين محمود كان قد صنع ثلاثة منابر متشابهة في ذلك الوقت، وضع أحدها في مسجد حلب، والآخر خصص للمسجد الأقصى، أما الثالث فموجود اليوم في المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل.

وتنقسم الكتابة التي وجدت على المنبر إلى قسمين:

أ- كتابة تاريخية كالتي على يسار الخطيب وهو يرتقي المنبر: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بعمله العبد الفقير إلى رحمته الشاكر لنعمته المجاهد في سبيله المرابط لإعلاء دينه الملك العادل نور الدين ركن الإسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين أبو القسم محمود بن زنكي ابن آق سنقر.. في شهور سنة أربعة وستين وخمس مائة».

ب- كتابة قرآنية على يمين الخطيب وهو يرتقي المنبر، كتب قوله تعالى: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون».

جـ- ويوجد على رقبة المنبر النقش التالي: «بسم الله الرحمن الرحيم، عمل في أيام مولانا الملك العادل الصالح إسماعيل بن محمد ركن»، والأرجح أن «ركن» قد تكون «زنكي».

د- سجّل المشاركون في صنعه أسماءهم على باب المنبر كالتالي: «صنعه ابن ظافر الحلبي رحمه الله، صنعه سليمان بن معالي رحمه الله، صنعه حميد بن ظافر رحمه الله، صنعه فضايل وأبو الحسن ولدا يحيى الحلبي رحمه الله».

ثانياً: منبر برهان الدين:

يقع منبر برهان الدين جنوبي صحن الصخرة المشرفة، ملاصقة للبائكة الجنوبية، وحيث تعرف بوائك «الأقصى» كذلك بالموازين، فقد سميت هذه القبة باسم قبة الميزان لهذا السبب.

وحيث إنه في الحقيقة منبر فوقه قبة، فقد عرف باسم أشهر هو «منبر برهان الدين»، نسبة إلى قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة، الذي أنشأه في عام ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م، فهو مملوكي العهد.

جُدّد المنبر في عهد السلطان العثماني عبدالمجيد بن محمود الثاني، في عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م، كما تم ترميمه في أواخر عام ٢٠٠٠م، على يد مجموعة من الطلبة الإيطاليين، وذلك عن طريق دائرة الأوقاف الإسلامية.

وكان يوجد منبر خشبي جميل في شكله ورشاقته مكان هذا المنبر، وضعه صلاح الدين، ثم أعيد بناؤه من الحجر على النمط الهندسي الذي تشتهر به المنابر المملوكية المعروفة بنقشها وجمالها، ليصبح على مرور الأزمنة تحفة معمارية خالدة تنطق بالجمال والروعة.

يتكون مبنى المنبر المجصص بالرخام من مدخل يقوم في أعلاه عقد يرتكز على عمودين صغيرين من الرخام، ويُصعد منه إلى درجات قليلة تؤدي إلى دكة حجرية (مقعد) معدة لجلوس الخطيب.

وتقوم فوق تلك الدكة قبة لطيفة صغيرة ترتكز على أعمدة رخامية جميلة الشكل، وتحت مجلس الخطيب إلى الغرب قليلاً يوجد محراب صغير وجميل، بينما يوجد محراب آخر جهة الشرق نقش داخل جسم الركبة الغربية التي تحمل البائكة الجنوبية.

وهذا المنبر يسميه البعض «منبر الصيف»، لأنه في ساحة مكشوفة، فيستخدم في فصل الصيف فقط عندما يكون الجو مناسباً، لإلقاء الدروس والمحاضرات.

وكان يستخدم للخطابة والدعاء في الأعياد الإسلامية، وكذلك في صلوات الاستسقاء التي تقام في ساحات المسجد الأقصى، إذ لا يوجد في ساحات المسجد منبر غيره.[١]

(١) المصدر: كتاب «أطلس معالم المسجد الأقصى»، أستاذ الدعوة الإسلامية د. عادل هندي لـ«المجتمع»:

نريد منابر جديدة تُحيي شباب الأمة

شيماء أحمد

في عالم مضطرب تجتاحه عواصف الحرب وتحديات الذكاء الاصطناعي وتأثيرات العولمة على الأخلاق، تبدو حاجة أمتنا الإسلامية للإعداد بكل ما أوتيت من قوة نحو مشروع حضاري حقيقي، يقوم على مرجعيتها الراسخة وحبل الله المتين وهو الدين الإسلامي، مع حركة اجتهاد كبرى لمواكبة العصر، في هذا الإطار، تؤدي المنابر الإسلامية الدعوية دوراً مهماً في حركة تجديد الخطاب الديني، ويبرز التساؤل: ما التحديات التي تواجهها المنابر الإسلامية للقيام بأمانتها الدعوية في عصر متغير؟

«المجتمع» التقت بالدكتور عادل عبدالله هندي، أستاذ الدعوة الإسلامية، عضو المكتب الفني لأكاديمية الأزهر العالمية لتدريب الوعّاظ والباحثين، في هذا الحوار.

لا يزال هناك من ينظر بريبة لقضية تجديد الخطاب الديني، فما رأيكم؟

– امتنّ الله تعالى على هذه الأمّة برسالة الإسلام التي تستوعب كل الأزمنة والأمكنة وجميع البشر بمرونة تامة من خلال أحكام هذا الدِّين، ونعلم أن أحكام الدين منها ما هو ثابت وقطعي لا يقبل التجديد لأنه مرتبط بالتنزيل الإلهي والوحي، وأي تشكيك فيه يعد محاولة لهدر صحيح الدين، وهناك أحكام قابلة للاجتهاد والرأي ومرتبطة بما استجدّ من حوادث، فيتم إعمال القياس والمصالح والاستحسان لاستنباط الحكم المناسب بما يضمن تحقيق مصلحة العباد مع عدم الاصطدام مع الشريعة.

والتجديد فريضة شرعية وضرورة حياتية واقعية؛ حيث إن الإسلام أمر العقل البشـري بالنظر والتأمل واكتشاف الجديد؛ ولا يقبل الإسلام منه الجمود أو المكوث في مساحة الراحة، خاصة وأننا في عصر التكنولوجيا التي أصبحت كالماء والهواء للناس.

كيف نزيح حالة الفصام التي تظهر أحياناً بين المنابر الإسلامية وواقع الناس؟

– المنبر وسيلة نشر الوعي الديني الصحيح في أذهان الجماهير، وأعترف أن بعض الخطباء يخطئون بتعاملهم مع المنبر كوظيفة مجردة، دون أن ينشغل بالدعوة من صميم روحه وشعوره، ولهذا تخرج خطبهم باهتة لا تصل لقلوب وأفهام المستمعين، على جانب آخر، نرى خطباء يستشعرون أمانة المنبر الذي وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ويدركون أنه أداة التغيير والإصلاح للأفضل، وترى خطبهم تلمس هموم المسلمين بحق وتتطرق لقضايا نصرة المستضعفين، وهؤلاء لا نشعر معهم بحالة فصام لأنهم أصحاب رسالة.

كيف تسهم المنابر في النهوض بالأمة حضارياً ومدافعة الاستعمار الغربي؟

– على أمتنا أن تفكر بعقلية مبدعة في صناعة منابر جديدة ورفع الأغلال بخطاب عصري مؤثر من أجل أهداف كبرى: تعزيز الهوية الإسلامية والعزّة بدين الله الواحد مع تأكيد عدم جواز العدوان على الآخر، ثم أهمية الوعي بأخطار الاستعمار الذي تمارسه الدول المعتدية على عالمنا العربي والإسلامي.

ولتحقيق ذلك علينا تحفيز همم الشباب والمبدعين لتحقيق نهضة علمية وفكرية تسهم في حضارة أمتنا، وبث نماذج مشرقة من التاريخ الإسلامي وحياتنا المعاصرة لاستنهاض قيمة الدفاع عن الأمة.

هل يمكن أن تسهم المنابر الإسلامية في مواجهة ظاهرة «التنوير العلماني الزائف»؟

- بداية يجب أن تتوحد جهود المنابر الإسلامية مجتمعة؛ ولا أقول المنابر المسجدية فقط، ولكن المنابر الإعلامية الإسلامية والتابعة لوسائل التواصل الاجتماعي؛ فلا نوجه اللوم إلى المسجد فيما وسائل الإعلام من صحف وبرامج تهيم في أودية أخرى، بينما نرى أهل الباطل يعملون جماعات وهناك دول ومؤسسات كبرى داعمة لهم.

ولمواجهة «التنوير» المزيف، علينا نقد الأفكار العلمانية عبر المنابر بشكل علمي حضاري، مع الاهتمام بالتعليم الديني والأزهري وتربية القادة الشباب على عقيدة وسطية متزنة، وعبادة صحيحة فقهياً، وتعددية مذهبية لا تعرف التعصب، وتربية سلوكية وروحية تعتز بالهوية، مع إيراد مصائر من اختاروا حرمان أنفسهم وأمتهم من الدين.

هل لا تزال مسألة الخطاب المعتدل، بعيداً عن الغلو الفقهي والشطط الصوفي، معضلة مؤرقة؟

- هناك تحديات بالطبع تواجه المنابر الإسلامية المعتدلة كالأزهر الشريف، غير أنّ حركة الإصلاح الحقيقي ما زالت تعمل بجِدّ في تطوير المناهج التعليمية وتصحيح المفاهيم المغلوطة، التي تتسبّب في نشر التشدّد الفقهي والتسيب الصوفي لدى البعض، مع أنّ المسلم إذا فهم الحكمة من الاختلاف هدأت نفسه وراق فؤاده لعبادة ربه دون أن ينشغل بالمختلف فيه، كما أنّه لو استوعب حقيقة التصوف لعاش في سلوكه وأخلاقه وقيمه كأنه أحد الجيل الذي عاصر نشأة الدعوة ومنهجها الراقي.

لماذا تؤكدون مراراً أهمية الدعوة عبر المنابر التكنولوجية وليس المسجد وحده؟

- بالفعل، فبغير التكنولوجيا المعاصرة ينعدم تأثير الدعوة في حياة البشر اليومية، ونغيب عن فئات بعينها يصعب وصولها لدروس المسجد، ونظل أسرى للخطاب التقليدي، ويغيب الدور الاجتماعي للدعاة في حل مشكلات الناس، وبدون التواصل الحديث يتعذر الوصول بالخطاب الإسلامي للعالمية، ويتعذر على الجاليات المسلمة في مجتمعات الغرب مواجهة تحدياتهم.

وقد شاركت في تدريس مادة «وسائل الدعوة الحديثة» بالأزهر؛ نظراً لكون وسائل التواصل الاجتماعي واستخدامها بشكل احترافيّ ضرورة لكل مسلم، بل وتعلم كل ما له علاقة بالذكاء الصناعي، وهي تطبيقات وفّرت الوقت والجهد والمال والطاقة، ومجتمعاتنا إن طلقت الدنيا الحديثة وتركتها للغرب فإنه سيتزوجها زواجاً أبدياً ويصبح سيداً ونصبح لهم تابعين.

كيف تسهم منابرنا بفاعلية في بث قيم النجاح؟

- نحن دائماً بحاجة لإنتاج محتوى جذاب من مقاطع فيديو، ومقالات، وإنفو جرافيك تشرح القيم الإسلامية المتعلقة بالنظام واحترام الوقت والعمل، نحتاج لأن نستخدم القدوة الحسنة كوسيلة عملية ومعنوية، وأن نبتكر تطبيقات تساعد في تنظيم الوقت وتعزيز قيم العمل والنجاح.

وكي يتحقق ذلك علينا ترسيخ أهمية ترشيد استخدام التكنولوجيا بما لا ما يهدر أعمارنا في إدمان المشاهدة والألعاب وأخبار المشاهير، وعلينا ربط الشباب بقيمة طلب العلم واكتساب المهارات، وأن الإسلام لا يصطدم مع التقدم الحضاري، بل يؤجر صاحبه في الدنيا والآخرة، وقد كان الصحابة والتابعون يطلبون العلم في أصقاع

العالم، وعلينا أيضاً تأكيد أهمية الانفتاح على العالم وفق حالة «اندماج لا ذوَبَان».

وكيف يمكن للمنابر أن تُحصّن الشباب من خطر التجنيد لتنظيمات العنف؟

– تفكيك الفكر المتطرف أولاً قبل أيّ شيء؛ لهذا أدعو إلى إنتاج محتوى رقمي متوازن يردّ على الشبهات بلغة علمية بسيطة، وإقامة ورش توعوية تشرح الفرق بين الفهم الصحيح للإسلام والتفسيرات المغلوطة، واستخدام وسائل التواصل في الحملات الكبرى لمواجهة الشبهات أو في الرد على الاستفسارات بشكل فوري وودّي، ولدينا في جامعة الأزهر أول وحدة للتوعية الفكرية من هذا النوع.

وواجبنا، إضافة لما سبق، تطوير تطبيقات تسهل على الشباب الوصول إلى المصادر الدينية الصحيحة والموثوقة، وتقديم شروحات مبسطة للآيات والأحاديث، مع استضافة علماء مرموقين لتوضيح المفاهيم الصحيحة.

الأمر لا يتوقف هنا؛ بل هناك أهمية لتوجيه طاقات الشباب بعيداً عن التطرف في مشروعات تطوعية اجتماعية، وتعزيز ألعاب تفاعلية وأفلام قصيرة تعزز القيم الإسلامية بشكل مشوق وتبرز تأثيرات التطرف الوخيمة، وأخيراً إتاحة منتديات إلكترونية حول الشبهات المتطرفة ومناقشتها في بيئة آمنة ومفتوحة.

هل نجحت مؤسساتنا الدعوية العالمية في تصحيح المفاهيم المشوّهة عن الإسلام؟

– إن حركة المؤسسات الدعوية العالمية بطيئة للغاية؛ لا تتناسب مع حجم التحديات، ولا تتواكب مع التطورات الحديثة، ولعل العقبة الكؤود التي يلحظها الباحث هي عدم التعاون والتشارك بين تلك المؤسسات بما يوفر الجهود والأعمار.

ولذا، فإنّ المأمول في حركة المؤسسات العالمية إطلاق حملات توعوية

عالمية لتصحيح الأفكار المغلوطة سواء التي تطلقها الجماعات المتطرفة، أو تلك التي تطلقها جماعات اليمين الغربي وتعزز ما يُعرف بـ«الإسلاموفوبيا»، وعلينا بث مقابلات مع أبرز الدعاة وتنظيم منتديات دولية تجمع قادة الفكر الإسلامي مع باحثين من ثقافات أخرى لنشر رسالة التسامح، وتقديم تطبيقات وكتب وأفلام بلغات متعددة حول المفاهيم الدينية بعيداً عن التشويه.

وهناك أهمية بالغة للتفاعل مع الجاليات المسلمة في الغرب لتمكينهم من شرح الإسلام الصحيح، مع الاستجابة الفورية للأزمات؛ خاصة في أوقات الهجمات الإرهابية أو تصاعد الأفكار المتطرفة المنسوبة للإسلام.

بين الخطيب المطبوع والمصنوع

د. محمد البربري

إن مهمة الدعوة إلى الله تعالى من أشرف المهام، وأفضل القربات، فهي لبّ رسالات الأنبياء والسابقين، والوسام الجليل الذي يصطفي له رب العالمين من يشاء من خلقه، قال جل ثناؤه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٣].

وإن كان البصراء قد عرفوا الخطابة بأنها «فن مخاطبة الجمهور وإقناعه واستمالته»[1]، فإن هذه الركائز الثلاث تحتاج إلى دربة ودراية لتكون الخطبة ناجحة وهادفة.

وبقليل من التروي، فإن من ينظر إلى الواقع الخطابي المعاصر يجد أمارات التجاعيد وعلامات الشيخوخة عليه ظاهرة، بل ونزق المراهقة وقلة الخبرة، فهو في الأعم الأغلب -إلا من رحم الله- لا يقيم معوجاً ولا يشبع نهماً، فأحياناً يكون الخطاب بارداً برود الشتاء، تظهر عليه أعراض التكلف في الصنعة الخطابية، وأحياناً يكون حارّاً حرارة الصيف الملتهب، ومن الحكمة التوسط بينهما ومراعاة الحال.

رسالة المسجد:

المسجد قلب المجتمع النابض، ورسالته رسالة الإسلام بشموله وكماله، وأهم أدواره التوجيه والإرشاد وتصحيح العقائد والأفكار وتزويد الأنفس بالغذاء الروحي

(١) فن الخطابة، د. أحمد الحوفي، ص٥.

والإيماني حتى يتجدد اللقاء في هذا المؤتمر الأسبوعي، فكم من انحرافات شبابية عولجت! وكم من ثلمة في الجدار الإسلامي سُدت ووضع لها الدواء الناجع والعلاج الناجح! وكم من أمور حيَّرت أفهام الناس وتصارعت حولها العقول وكان في خطبة الجمعة الإجابات الشافية لهذه الحيرة، وفصل القول بين العقول المتصارعة على يد خطيب يقظ يربي ويوجه ويعلم مطبوع على حب الخطابة وحسن الأداء وروعة البيان، وشتان بين الخطيب المطبوع والخطيب المصنوع، وهنا سؤال مفاده: هل تقوم خطبة الجمعة بوظيفتها كاملة؟ وهل تواكب التطور الإعلامي الهائل في هذه الأيام؟

الحقيقة أن الإجابة عن هذا السؤال تضعنا أمام حقيقة ليست سهلة على النفس المسلمة، بل مؤلمة جداً، فرغم كثرة منابر المساجد وخطبائها، فإنك تجد فرقاً هائلاً بين خطبة الجمعة اليوم وما كانت عليه عند السلف، مع أن المنابر هي المنابر.

إنك في الأعم الأغلب ستجد خطبة ضاعت روحها الفتية، واختفت معانيها الغنية، وغابت آثارها القوية، ويهولك أن تراها أضحت كلمات ثقيلة ومعاني عليلة لا تبل لظامئ صدى، ولا تدفع عن أمة ردى، الناس في واد وهي في واد آخر، لا تحس بآلام الأمة، ولا تحاول إنقاذها من الغمة، فلا تعجب إن أصابها الهزال ولم يتأثر بحبها الرجال[1].

والأمر ليس على إطلاقه، ففي الحياة أئمة وخطباء جعلوها رسالة لا وظيفة يبتغون بها رضا الله وتعمير القلوب، لا ملء الجيوب، فكتب الله لهم في دنيا الناس القبول، وقدر لصادق كلماتهم البلاغ والوصول.

(١) يوم الجمعة وخطبته في موكب الدعوة، د. يسري هاني، ص١١٥.

الأسباب والحلول:

المستوى العلمي والثقافي المتواضع، وعدم الإلمام بالثقافة العلمية والأدبية والتاريخية، وقصر النظر والمطالعة على فرع واحد أو رأي واحد؛ وهذا بدوره يؤدي إلى التعصب وجمود الفكر، ومن البديهيات أن الداعية يجب أن يكون مدمن قراءة، يطالع ويبحث ويرقب كل جديد؛ لأن القراءة عنوان التقدم والازدهار والرقي الحضاري، وهي للدعاة زادهم الأصيل، ورحم الله الإمام البخاري، فقد سأله وراقة يوماً في خلوته: هل من دواء يشربه الرجل فينتفع به الحفظ؟ فقال: لا أعلم شيئاً أنفع بالحفظ من فهمة الرجل ومداومة النظر[1].

الهبوط الملحوظ في التحدث باللغة العربية، واستبدال العامية واللهجات المحلية بها، التي غالباً ما تُفقد الحديث رونقه، والخطبة بهاءها، وكذلك التقعر واستخدام الألفاظ المستعصية على الأفهام.

ومعلوم أن اللغة العربية هي وعاء الإسلام، ولسان التنزيل، وآصرة العقيدة، ورمز الأمة وعنوانها، فهي نبت القرآن الكريم ووليدته، والخطيب يجب أن يكون له منها النصيب الأوفى، وليس المقصد استعمال الفصحى التي تحتاج في فهمها إلى بحث في المعاني، بل اللغة العربية السهلة الواضحة التي يفهمها الخاصة والعامة.

عدم الإلمام بالواقع ومعايشة الأحداث، فمن المفارقات العجيبة أن تمر الأمة بمرحلة عصيبة، وينتقص من أطرافها وتنتهك حرماتها ومقدساتها، وترى من يتحدث في موضوعات ليست ذات بال، وعلى الخطيب أن يكون على دراية بالواقع ومواكبة الأحداث الاجتماعية والثقافية، فالداعية والطبيب كلاهما رفاق سلاح لا بد من معايشة مشكلات الناس واستدعاء الحلول الناجحة لها من القرآن الكريم والسُّنة

(١) فتح الباري (١/ ٤٨٨).

المطهرة، من غير أن يعرض الداعية نفسه للمخاطر والمهالك، وألا يتعرض لأحد من المستمعين «ينتقد الفعل ولا ينتقض الفاعل»، فنحن نعالج المرض ولا نحارب المريض، مع ضرورة الموازنة بين عرض الدعوة وسلامة الداعية.

شعور الداعية بالإحباط تجاه الواقع الفردي والجمعي للأمة ورضوخه للواقع والرغبة في عدم التطور والفتور، وإغفال استخدام أساليب التشويق والإثارة وبراعة الاستهلال، فمنهم من يتحدث بصوت ضعيف لا يوقظ الوسنان ولا يحرك الغفلان، والخطيب يجب أن يكون بارعاً في إيصال الفكرة بأقصر عبارة، وأوجز إشارة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم[1].

فأولى بالخطيب أن يحرص على استخدام القصة الهادفة دينية كانت أو أدبية، وفيرة الصوت، ولهجة الحديث التي ربما تبلغ عن القلوب ما لا يبلغه الحديث نفسه، فلا يقرر حديثه على وجه إلا المتأثر به قولاً وفعلاً، وفرق بين الحديث إلى الأحياء والحديث لسكان القبور.

وبعد أخي الخطيب الحبيب..

لقد أقامك الله تعالى في مقام تشرئب إليه الأعناق، وترنو إليه الأحداق، فبكلماتك تتشكل العقول، وبعباراتك الجهل يزول، فجاهد نفسك، وجدد نيتك، فهي أول مراتب القبول، واجعل الإخلاص لله لك مركباً، ورضا الله غاية ومطلباً، وتعليم الناس وهدايتهم هدفاً ومقصداً، فقد اصطفاك الله لمكان الأنبياء، ومقام الأصفياء.

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧).

المساجد.. ودار العبادة العلمانية!

كريم الدسوقي

لم يكن المسجد يوماً مجرد دار عبادة في المفهوم الحضاري الإسلامي المستند إلى نص الشرع وتجربة التاريخ، بل كان مركزًا للتعليم، والتشاور السياسي والاجتماعي والاقتصادي، والنشاط الثقافي؛ أي كان مؤسسة شاملة تعكس الوظائف المتعددة التي أسسها النبي محمد صلى الله عليه وسلم عندما بنى المسجد النبوي في المدينة كأول منارة حضارية للإسلام.

فالمسجد في الإسلام يتجاوز مفهوم دار العبادة العلماني، وهو ما جسّده المسجد النبوي الذي كان صغيراً في حجمه الأول كبيراً في إشعاعه الحضاري، ومنذ ذلك الحين ظلت المساجد منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تتخذ لأغراض دينية ودنيوية.

وفي هذا الإطار، تقام في المسجد الصلوات المفروضة، وهو المدرسة الأولى التي يلقن فيها المسلمون تعاليم دينهم، وهو الجامعة الكبرى التي تخرج فيها كبار الصحابة ومن بعدهم، وهو المحكمة التي يفصل فيها بين الخصوم، وهو مكان استقبال الرسول صلى الله عليه وسلم للوفود التي كانت تفد عليه رغبة منها في الدخول للإسلام.

ولذا، عقد الإمام البخاري في كتاب «الصلاة» من صحيحه عدة أبواب تتعلق بالمسجد، مثل التعاون في بناء المسجد، وعقد الحلق للتدريس فيه، والقضاء فيه، واللعان بين الرجال والنساء، والتداوي، والنوم فيه، ودخول المشرك للمسجد،

وإنشاد الشعر في المسجد، وغيرها من العناوين التي عكست الدور الحضاري للمسجد منذ بدء الدعوة المحمدية.

وقد عبر القرآن الكريم بوضوح عن تجاوز الدور الحضاري للمسجد لمفهوم دور العبادة العلماني في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النُّور: ٣٦-٣٧] .

وفي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢﴾ [ص:٢١-٢٢]، قال الإمامُ القرطبي: «ليس في القرآن ما يدلُّ على القضاءِ في المسجد إلا هذه الآياتُ، وبها استدَلَّ من قال بجواز القضاءِ في المسجد».

وجاء المستوى التاريخي تطبيقاً عملياً للنص القرآني في أوجه الحياة المدنية، بل حتى في وجهها العسكري أيضاً، فلطالما كان المسجد هو المكان الذي كانت تنطلق منه جيوش المسلمين في الغزوات والفتوحات فكانت بيوت الله منبع نشر الإسلام والقضاء على الشِّرك وتخليص البشرية من الظّلم والعبودية.

تراجع أوروبي:

بالمقابل، نشأ مفهوم «دار العبادة» بأوساط بيئات الديانات الكهنوتية في أوروبا خلال العصور الوسطى والحديثة، وتطور نتيجة للتغيرات السياسية والاجتماعية والفكرية التي مرت بها أوروبا في هذه الفترة، التي أدت إلى تفكك السلطة الدينية وتقليل دور الكنائس في الشؤون العامة.

وكان أحد أوجه تأثير هذا التطور هو التقدم العلمي والفلسفي في فترة النهضة والعصر الحديث، الذي أدى إلى طرح تساؤلات حول دور الدين في المجتمع والحياة العامة، وفي هذا السياق بدأت الأفكار العلمانية تنتشر وترفض تقديس الدين، وهو ما أدى إلى تقليل أهمية المؤسسات الدينية مثل الكنائس والمعابد.

في ذلك الوقت، بدأ المفكرون العلمانيون في إبراز أهمية فصل الدين عن الدولة والحياة العامة، وفي تقديم مفهوم «دار العبادة» الذي يعني مكان العبادة بمعنى ضيق ومحدد، ينفصل عن الحياة اليومية والمجالات الأخرى في المجتمع.

ومن هؤلاء المفكرين في عصر النهضة، وليم الأوكامي الذي دعا إلى «فصل الزمني عن الروحي»، حسب تعبيره، وأكد أهمية «استقلال الإيمان عن العقل»، وغيرها من الأفكار التي ساهمت في تطور الفكر العلماني الذي يرى أن الدين يجب أن يكون مسألة شخصية ولا يجب أن يتدخل في شؤون الدولة والمجتمع.

وبدأت العلمانية، كمفهوم وكحركة اجتماعية، تأخذ شكلها الأكثر وضوحًا في القرن السابع عشر، مع ظهور البرجوازية الصناعية التي شككت في الحق الديني للملوك وسعت لتقليل النفوذ السياسي والاقتصادي للكنيسة.

نظرة علمانية:

ولذا يمكن القول: إن مفهوم «دار العبادة» نشأ كجزء من تطور الفكر العلماني والحركات الفكرية التي تطالب بفصل الدين عن الدولة وتقليل دوره في الشؤون العامة، ويعتبر هذا المفهوم جزءًا من عملية تحول في الفكر الغربي تجاه الدين والمجتمع، وهو مرتبط بالنظرة العلمانية التي تنظر إلى العبادة كأمر شخصي يجب أن يبقى خاصاً بالفرد ولا يتداخل مع الشؤون العامة والحياة اليومية.

ولا حاجة لكثير استدلال من سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم على أن منطلقات ومبررات مفهوم «دار العبادة» منتفية إسلامياً، سواء من واقع النص الشرعي أو التطبيق التاريخي، فقد بدأت الاستعدادات لفتح مكة من المسجد النبوي، حيث جمع الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم جيش المسلمين منه وخرج بهم لهدم عبادة الأصنام حول الكعبة.

وكانت خيبر مركزًا يهوديًا قويًا، وخرج المسلمون من المدينة المنورة لفتحها، وكانت الخطط العسكرية تُرسم وتُناقش في المسجد النبوي.

شتان بين ديانات الكهنوت التي تحصر الدين في علاقة بين العبد وربه، وبين دين الإسلام الذي يعرف الدين بأنه المعاملة وبأنه علاقة رأسيه مع الله وعلاقة أفقيه مع الناس، ولذا فإن ما جرى من إسقاط لمفهوم «دار العبادة» على المساجد في بلداننا الإسلامية ليس سوى تراجع حضاري تجب مواجهته بإعادة دور المسجد في حياتنا المعاصرة من خلال العودة إلى الأصول والتأكيد على الدور الحضاري الشامل لبيوت الله تعالى.

مساجد «أون لاين»!

أحمد عبد الواحد

تتزايد حاجة المرء المسلم للتزود بجرعات إيمانية وروحانية، بعد رمضان، لا سيما مع تسارع وتيرة الحياة المادية، وتزايد الضغوط الحياتية والمعيشية، فضلاً عن كثرة الملهيات والمشتتات.

ربما نحن بحاجة إلى صياغة أدوار جديدة للمسجد، وطرق مستحدثة، تواكب روح العصر، وتنتقل بأجواء بيوت الله إلى كل مسلم، في أي زمان ومكان، دون التخلي بالطبع عن إعمار بيوت الله، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التَّوْبَة:١٨].

وهناك بالفعل تجارب حية وواقعية وناجحة، في إيجاد قنوات للتواصل بين المسجد ورواده؛ ما يجعل المسلم على صلة ببيت الله «أون لاين»، وتفاعل متواصل عبر وسائل التواصل، وتطبيقات التكنولوجيا.

ولا شك أن دعاة القرن الـ٢١، أبدع منهم من أبدع في توظيف التطور التكنولوجي الهائل في خدمة الدعوة إلى الإسلام، فصرنا نرى مواقع إلكترونية للمساجد الكبرى، وبثاً مباشراً لدروس المسجد، وحلقات تحفيظ قرآنية عبر «زووم»، وجلسات استشارات دعوية وفقهية داخل غرف الدردشة.

ومن الأئمة والدعاة من يقدم خدمات متطورة انطلاقاً من بيت الله، من توفير

المكتبة الإلكترونية، والمصحف الناطق، وبث خطب الجمعة، وإتاحة أرشيف الدروس والمحاضرات عبر الموقع الإلكتروني للمسجد، وبث مواد دعوية بأكثر من لغة لغير الناطقين بالعربية، مع إتاحة خدمات الفتاوى وغيره، الأمر الذي يرفع من كفاءة وفاعلية دور المسجد في الدعوة والتأثير.

بل إن البعض ذهب إلى إبداع طرق أكثر تفاعلاً وتواصلاً خارج المسجد، من خلال تطبيق جوال الجامع، الذي يزود المشترك بكل فعاليات المسجد، ويذكره بمواقيت الصلاة، والمناسبات الدينية، والأدعية المأثورة، كما يزوده برسائل دعوية ورقائق إيمانية، تشحذ همته «أون لاين».

ولا يمكن إغفال الدور الذي مارسته منصة «مسجد أون لاين» خلال تفشي جائحة كورونا، قبل سنوات في جمع الدعاة حول العالم في بث مباشر للتواصل مع جموع المسلمين عبر الفضاء الإلكتروني، ومجموعات «واتساب»، وقنوات «يوتيوب»، بشكل جعل منها مسجداً بديلاً يتجاوز الحظر التضييق أياً كان صوره في أي بلد، ومنصة تفاعلية دعوية تحمل الإسلام إلى جميع العالمين.

ويمكن القول: إن الفكرة كانت نبتة إبداع خارج المألوف، ساعدت لاحقاً على إنشاء ١٠٠ ألف مسجد إلكتروني على مستوى العالم، وفق مؤسسي المنصة، الذين يؤكدون عدم تعارض الفكرة مع الشرع الإسلامي، كون المنصة لا تدعو لإقامة أي صلاة عن بُعد، بل تحث المتلقي على الارتباط ببيت الله، والتواصل معه، وحضور فعالياته، والنهل من دروسه، والاستفادة من شيوخه وأئمته.

ربما مثلاً، نقل أجواء الاعتكاف في بث مباشر عبر العالم الافتراضي، يحفز آخرين على الانضمام للمعتكفين، وقد يكون بث تلاوة الأذكار والأدعية المأثورة

من السُّنة النبوية فرصة أمام الآخرين للاقتداء بذلك، وقد تكون المحاضرات الفقهية منهلاً لتعليم كل ذي حاجة، وقد تكون الخواطر والرقائق طريقاً لهداية آخرين.

في هذا الصدد، لا يمكن حصر الآثار الإيجابية والنافعة لقناة القرآن الكريم التي تبث من الحرم المكي الشريف بمكة المكرمة، وتنقل أجواء العمرة والحج، وتزيد من لهفة القلوب إلى الطواف ببيت الله، كذلك قناة السُّنة النبوية التي تبث من الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة، وتنقل عطر الحبيب إلى المشاهدين في جميع أرجاء المعمورة.

ومن المؤكد أن نقل أجواء الصلاة في المسجد الأقصى، يغرس لدى أبنائنا وأحفادنا الشوق إلى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحيي جذوة الجهاد في النفوس لتحرير «الأقصى» من أيدي الصهاينة الغاصبين.

إن الحاجة باتت ماسة في غزو الفضاء الإلكتروني، إن صح التعبير، وتحويل المواقع والمنتديات والتطبيقات الحديثة، وكل ما هو حديث ومتاح شرعاً وقانوناً، إلى سفير للإسلام، ومنبر دعوي، يبث النافع والطيب، ويغرس الخير والفضيلة.

لنُعِدْ إلى المسجد دوره وحيويته وفعاليته، ولننتقل بأجوائه وإيمانياته إلى كل هاتف وتطبيق، لنربط بين العلماء والفقهاء في مشارق الأرض ومغاربها، وبين المسلمين في كل مكان.

ليكن جهادنا الإلكتروني غاية وساحة لنشر وتعميم تجربة «المسجد أون لاين»، وأرشفة إنتاج دعاتنا وأئمتنا، وربط الناس ببيوت الله، دون تخل بالتأكيد عن المسجد الحقيقي، بل إن الأمر أشبه بقنطرة لوصل من انقطع، وتعزيز صلة من وصل، وإعادة إحياء دور المساجد كمنارة إشعاع إيماني وروحي، ومركز علمي وفقهي، ومحضن

تربوي وثقافي، ومنهل خيري واقتصادي، وملتقى اجتماعي وسياسي.

إن من واجبنا أن نستحضر للواقع معنى «الجامع» بشموليته، لا لاستقبال المصلين فقط؛ لأداء الفرائض الخمس، بل للنهوض إيمانياً وعقائدياً وفكرياً ومجتمعياً، وأن نحقق في قلوبنا ومجتمعاتنا وبلداننا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ورجل قلبه معلق بالمساجد».



أبرز ١٠ أدوار للمسجد

اختص الإسلام المساجد بمكانة عظيمة، وقيمة كبيرة في حياة الناس، فلم يخصصها فقط للصلاة، بل كانت إضافة إلى كونها دار عبادة، مركز حكم، ومجمعاً علمياً، وساحة اجتماعية، وهيئة إصلاحية.

ومن الأهمية بمكان إعادة الاعتبار للمسجد، وتحقيق معنى «الجامع» فيه، بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، كما كان على مدار التاريخ الإسلامي، منذ عهد النبوة، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم خير نموذج لذلك.

ولا شك أن أدوار ومهام المسجد في الإسلام كثيرة ومتعددة، وقد تطورت على مدار التاريخ، ومنها ما تقلص، أو اندثر، لكن بيوت الله ظلت عامرة جامعة، وقبلة للناس أجمعين، ومنارة للعلم والخير والفضيلة، وداراً للتقوى والعبادة، ومنبعاً للتكافل والتعاون، ومن هذه الأدوار:

أولاً: المسجد دار عبارة؛ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن:١٨]، فهي بيوت الله وأحب الأماكن إليه، ولهذا أمر الله بإقامتها وعمارتها وشهد لأهلها بالإيمان والهداية؛ ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النُّور: ٣٦-٣٧].

ثانياً: دار حكم؛ فمن المسجد أدار النبي صلى الله عليه وسلم شؤون المسلمين، ومنه أرسل الجيوش، وفيه استقبل الوفود، وتشاور مع أصحابه في أمور دينهم

ودنياهم، لذلك توعد الله تعالى من منع الناس من تفعيل دور المسجد في حياتهم، فقال:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البَقَرَة:١١٤].

ثالثاً: دار عدل وقضاء؛ حيث كان المسجد منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلّم وجهة للمتنازعين والمتخاصمين، وتطور الأمر لاحقاً، فسميت بعض الساحات في المساجد باسم القضاة الذي يجلسون للنظر في شكاوى الناس، كما هي حال الشباك الكمالي في المسجد الأموي، نسبة إلى القاضي كمال الدين الشهرزوري.

رابعاً: منبر دعوة؛ فمن المسجد الحرام انطلقت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة، ومنه إلى العالمين جميعاً، فالمساجد بيوت الله، ومنابر الدعوة إلى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة، عن عبدالله بن مسعود، قال: قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «نضَّر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلَّغه كما سمع، فرُبَّ مبلغ أوعى من سامع».

خامساً: جامعة علمية؛ فقد كان المسجد مدرسة فقهية، وملتقى فكرياً، وكانت حلقات العلم في المساجد نقطة رئيسة في تعليم المسلمين أمور دينهم، وتخريج الدعاة والفقهاء، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (رواه البخاري)؛ لذلك سبقت المساجد المدارس والجامعات والمعاهد، ومن أبرز تلك المساجد جامع عمرو بن العاص، والجامع الأزهر بالقاهرة، والجامع الأموي في دمشق، وجامع المنصور ببغداد، وجامع القرويين في المغرب.

سادساً: دار إيواء للضعفاء والمساكين والفقراء والمحتاجين، فقد أنزل الله في «أهل الصفة» قوله:﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى

ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة:٢٧٣]، فكان المسجد متكفلاً بهم؛ «فإِذَا أَتَى النبيَّ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا» (أخرجه البخاري).

سابعاً: بيت مال المسلمين، حيث كانت تقام قبة بيت المال في المساجد، وفي هذه القبة كان الخلفاء يحفظون الثروة النقدية العامة التي كانت حصيلة الزكاة التي يدفعها المسلمون عن أموالهم وخراج أراضيهم والفَيء الذي يكسبونه في حروبهم، ومن هنا جاءت ضرورة إغلاق المسجد بعد صلاة العشاء.

ثامناً: مؤتمر جامع، حيث يجمع ويوحّد كلمة المسلمين، إذ يجتمعون في اليوم ٥ مرات، ويجتمعون أسبوعياً في صلاة الجمعة، كما يجتمعون في العام مرتين كما في صلاة العيدين، لذلك كانت المساجد بمثابة مؤتمر حاشد يقوي العلاقات، ويشحذ الهمم، ويفتح آفاق التعارف والتعاون بين أفراد المجتمع.

تاسعاً: دار طب، فقد اتخذ المسجد كمكان لعلاج المرضى، وكان الأطباء يجلسون عند أبواب الجوامع لاستقبال المرضي وتقديم النصيحة لهم، ويشهد التاريخ للطبيب القيرواني أحمد بن إبراهيم الجزار الذي كان يجلس عند باب الجامع ومعه بعض الأدوية، وجامع أحمد بن طولون الذي احتضن عيادات مختلفة أهمها الباطنة والعيون.

عاشراً: دار أفراح للمسلمين، تعقد فيها عقود الزواج؛ وقد استدل جمهور العلماء لصحة قولهم باستحباب عقد النكاح في المسجد بما رواه الشيخان في صحيحيهما، عن سهل بن سعد الساعدي قال: أتت النبي صلى الله عليه وسلم

امرأة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ما لي في النساء من حاجة»، فقال رجل: زوجنيها، قال: «أعطها ثوباً»، قال: لا أجد، قال: «أعطها ولو خاتماً من حديد»، فاعتل له، فقال: «ما معك من القرآن»، قال: كذا وكذا، قال: «فقد زوجتكها بما معك من القرآن».

تم بحمد الله

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥

ماهية الخطاب الديني وإمكانات التجديد.. د. مي سمير ٧

تحديات الخطاب الديني المعاصر: ٧

- التطرف والوسطية: ٨

- الموضوعية والتغريب: ٨

- الانفتاح والمحافظة: ٩

- التقليد والاجتهاد: ٩

انتقادات الخطاب الديني: ١٠

الواقع وإشكالياته في الخطاب الديني المعاصر.. د. فاطمة حافظ ١٢

ملاحظات نقدية على الخطاب الديني الموجَّه للأسرة .. همام الطوالبة ١٦

أولاً: الخطاب الجامد: ١٦

ثانياً: الخطاب الناقص: ١٧

ثالثاً: الخطاب الغائب: ١٨

رابعاً: خطاب الدخن: ١٨

النساء في الخطاب الديني.. قراءة في فتاوى مختارة.. د. فاطمة حافظ ٢٠

تجديد الخطاب الديني.. ضرورة شرعية و«كمين» علماني!.. كريم الدسوقي ٢٤

ضوابط ضرورية: ٢٦

كيف نقدم خطاباً دينياً جذاباً للأطفال؟ : منى حامد ٢٨

توظيف الصورة: ٢٩

الشباب.. والخطاب الديني المعاصر .. د. محمد أحمد عزب ٣٢
واجبات مهمة: ٣٤
أدوار لازمة: ٣٥
الإعلام الديني.. بين أزمة الخطاب وخطاب الأزمة: د. سلامة عبد القوي ٣٧
هل الخطاب الديني يصنع أزمة؟ ٣٧
هل الخطاب الديني بحاجة إلى تجديد؟ ٣٨
لماذا تغيب مقاصدية الخطاب الديني عند بعض المشتغلين به؟ ٣٩
هل تتوافق مع مصطلح الإعلام الديني، أم تراه تأطيراً وقولبة؟ ٣٩
ما ضوابط الإعلام الديني ومحدداته؟ ٤٠
الصورة الذهنية للرموز الدينية، لماذا نؤتى من هذا الطريق؟ ٤١
التنمية البشرية كمدخل للخطاب الديني.. المزايا والعيوب ..خالد محمد علي ٤٣٠
إشكالية التنمية البشرية في الخطاب الديني:.....٤٤
مزايا التنمية البشرية في الخطاب الديني: ٤٥
عيوب التنمية البشرية في الخطاب الديني: ٤٦
الدعاة و«الميديا».. ما يطلبه المستمعون.. مروة عبده ٤٨
فهل كان ذلك نصراً للدعوة الإسلامية؟ ٤٩
ماذا فعلت «الميديا» بالدعوة؟ ٥٠
تسليع الدعوة: ٥١
مكانة المنبر في التاريخ الإسلامي.. د. مي سمير ٥٣
منبر واحد.. أدوار متعددة:.....٥٥
تطوير المنابر الخطابية من منبر الجمعة إلى التكنولوجيا المنبرية.د. عمرو نافع ٥٨
أهمية المنبر عبر التاريخ ٥٩
١- خطبة الوداع (١٠هـ/ ٦٣٢م): ٥٩

٢- خطبة الخليفة أبو بكر الصديق (١١هـ/ ٦٣٢م): ٥٩
٣- خطبة عمر بن الخطاب في القدس (١٥هـ/ ٦٣٧م): ٥٩
٤- خطبة الإمام الحسين بن علي في يوم عاشوراء (٦١هـ/ ٦٨٠م): ٦٠
٥- خطبة صلاح الدين الأيوبي في المسجد الأقصى بعد تحريره (٥٨٣هـ..... ٦٠
٦- خطبة السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٨٩م): ٦٠
٧- خطبة الملك فيصل بن عبد العزيز في المسجد الحرام (١٩٧٣م): ٦٠
تحديات تواجه خطبة الجمعة اليوم: ٦٠
أمثلة حديثة لتطوير خطبة الجمعة: ٦١
مقترحات لما يمكن وصفة بالتحول نحو تكنولوجيا المنبر: ٦٢
١- البث المباشر عبر الإنترنت: ٦٢
٢- استخدام الوسائط المتعددة في الخطبة: ٦٢
٣- التطبيقات الذكية والتفاعل الرقمي: ٦٣
المنبر.. وأزمة الفراغ الوجودي.. مصطفى عاشور ٦٤
الفراغ الوجودي: ٦٥
خطورة الفراغ: ٦٧
خطبة الجمعة.. رؤية معاصرة . . أسامة الهتيمي ٧٠
شروط الإثابة: ٧٠
سرقة الجمعة: ٧٢
رؤية معاصرة: ٧٣
خطيب المنبر في الأعمال الفنية.. رؤية نقدية .. سيد حمدي ٧٥
أعمال مسيئة: ٧٧
دراما عربية: ٧٩

طوفان المنابر وراء انتصارات الأمة.. جمال سعد ٨٠
إمام الدعاة: ٨١
أدوار رائدة: ٨٢
منابر ذكية!.. أحمد عبد الواحد ٨٤
وسائل دعوية: ٨٥
منبرا «الأقصى».. دلالة الاسم ورمزية المكان.. سيف باكير ٨٨
أولاً: منبر نور الدين: ٨٨
ثانياً: منبر برهان الدين: ٩٠
نريد منابر جديدة تُحيي شباب الأمة .. شيماء أحمد ٩٢
لا يزال هناك من ينظر بريبة لقضية تجديد الخطاب الديني، فما رأيكم؟ ٩٢
كيف نزيح حالة الفصام التي تظهر أحياناً بين المنابر الإسلامية وواقع الناس؟ ٩٣.
كيف تسهم المنابر في النهوض بالأمة حضارياً ومدافعة الاستعمار الغربي؟ ... ٩٣
هل يمكن أن تسهم المنابر الإسلامية في مواجهة ظاهرة «التنوير العلماني ٩٤
هل لا تزال مسألة الخطاب المعتدل، بعيداً عن الغلو الفقهي والشطط الصوفي. ٩٤
لماذا تؤكدون مراراً أهمية الدعوة عبر المنابر التكنولوجية وليس المسجد ٩٥
كيف تسهم منابرنا بفاعلية في بث قيم النجاح؟ ٩٥
وكيف يمكن للمنابر أن تُحصّن الشباب من خطر التجنيد لتنظيمات العنف؟... ٩٦
هل نجحت مؤسساتنا الدعوية العالمية في تصحيح المفاهيم المشوّهة ٩٦
بين الخطيب المطبوع والمصنوع.. د. محمد البربري ٩٨
رسالة المسجد: ٩٨
الأسباب والحلول: ١٠٠
المساجد.. ودار العبادة العلمانية! .. كريم الدسوقي ١٠٢
تراجع أوروبي: ١٠٣

نظرة علمانية: ١٠٤
مساجد «أون لاين»! .. أحمد عبد الواحد ١٠٦
أبرز ١٠ أدوار للمسجد ١١٠
فهرس الموضوعات ١١٥



المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

AR WWW.MUGTAMA.COM

EN WWW.EN.MUGTAMA.COM